الأصول العشرة في الدعوة الإسلامية من خلال آية واحدة {فلذلك فادع} (بحث ينحو نحو الضوابط الشرعية بنظرة معاصرة)

أ.د/ أبو بكر علي الصديق
أستاذ التفسير وعلوم القرآن في جامعة عجمان
دولة الإمارات العربية المتحدة

ملخّص البحث

يتناول البحث الأصول العشرة التي تقوم عليها الدعوة إلى الإسلام، وذلك باستنتاجها من الآية الخامسة عشرة من سورة الشورى، وأهمها وجوب تبليغ الدعوة، واستقامة الداعي على منهج الله، وعدم اتباع الأهواء، وضرورة الالتزام بمنهج الله، والإيمان بالكتب السماوية.
كما تناول البحث بيان الأهداف العملية للدعوة من وجوب إقامة العدل، وإقامة المجتمع الرباني، وتقرير المسؤولية الفردية على الأعمال، وإقامة الدين على الحجة والبرهان، وربط ذلك كله باليوم الآخر لأنه يوم الجزاء للجميع.

بسم الله الرحمن الرحيم
قال الله تعالى
{فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [الشورى: ١٥]

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي أنزل الكتاب، فيه التفصيل والتبيان لكل شيء على الصواب، ونشهد أنه الواحد ذو الجلال والإكرام، نحمده تعالى على نعمة الإسلام، ونشهد أن نبينا وإمامنا محمد عليه الصلاة والسلام، جاءنا بالحق وبلغنا أصحابُه بالصدق، رضي الله عنهم جميعا وعمن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد فإن القرآن الكريم فيه الهدى والفلاح، من تكلم به صدق ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، فما من موضوع تكلم به القرآن الكريم إلا أخذ بالعقول وأمتع الأنفس وسما بالأرواح، بسوره الزاهرت وآياته البينات وكلماته التامات، وسور القرآن الكريم تجمع موضوعات كثيرة، حتى أقصر سورة في القرآن تشتمل على موضوعين أو ثلاثة، كما هو الحال في سورة الكوثر مثلا ومثيلاتها، والتي تحدى الله بها أفصح فصحاء العرب ومعهم جميع العالم أن يأتوا بسورة من مثله، فقال تعالى {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: ٢٣] وقال تعالى أيضا {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [يونس: ٣٨] فما أروع هذا التحدي وأعظمه؟ ! وما أغزر تلك المعاني والكلمات التي تحمل في طياتها موضوعات وموضوعات، نعرف بعضها ونجهل كثيرا منها، وصدق الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما قال: "كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا

عَجَبًا} [الجن: ١] هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"(١)

ففيه إعجاز لغوي فكري، وفيه أيضا إعجاز على كل المستويات العلمية قديما وحديثا ومستقبلا إلى أبد الآبدين.

وسوف نعرض في هذا البحث نوعا من هذا الإعجاز الفكري، الذي أشار إليه علماؤنا الأقدمون، وبينوا دقائق الآيات أو الكلمات التي ذكرت في هذا القرآن العظيم، فليس هذا بدعا من القول ولا شطحا من الخيال، وها نحن نضع الدليل بين يدي القاريء الباحث الناظر المتأني، وهي آية واحدة من القرآن تضمنت عشرة موضوعات، وهذه الموضوعات صالحة لأن يكون كل موضوع منها كتاب يدرس في الجامعات، على أنك إن ربطت بينها ارتبطت، وإن فصلت بينها انفصلت. وهذه الآية من سورة الشورى المليئة بالموضوعات العظيمة وهي قوله تعالى {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [الشورى: ١٥]

فهذه آية لا تتعدى السطرين سنجد فيها إعجازا فكريا رائعا، وضع كل حرف بحكمة وكل كلمة بإتقان، مهما وصفنا ذلك فهو أروع من الوصف، وأسمى من الإعجاز نفسه.

وكل هذا سوف نبينه باختصار إن شاء الله.

أهمية الموضوع: موضوع الدعوة هو محور الإسلام والدين والقرآن، فالعلم الذي هو أول تكليف جاء به القرآن وهو { اقرأ } مسخر للدعوة، لأنه لا دعوة بلا علم، والتكليف الثاني الذي هو العبادة المتمثل في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا } [المزمل: ١، ٢] مسخر للدعوة أيضا، بكل تفاصيل العلم والعبادة التي جاءت بعد ذلك، والتكليف الثالث هو الدعوة نفسها المتمثل في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ } [المدثر: ١، ٢] مع أنه مهد لهذه الدعوة قبل التكليف بها فقال تعالى { أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى } [العلق: ٩ - ١٢]

وإذا كانت هذه الدعوة لها أرضية تستند إليها من علم وعبادة فلها سقف يحميها وهو الجهاد، فكل من قيد حرية الدعوة ووقف في وجهها ومنع المسلمين من أدائها في كل مكان وجب جهاده، بكل الوسائل المشروعة.

ومن شدة أهمية الدعوة جعلت الجامعات الإسلامية كلية للدعوة فيها، أو قسما داخل الكلية، وكذلك كليات الإعلام الإسلامية أو قسم الإعلام، يتعلم الداعي فيها كل العلوم التي تساعده على أداء هذا الواجب المكلف به الأنبياء ومن اتبعهم.

سبب اختيار الموضوع: كان اختياري لهذا الموضوع أنني كنت أمر على هذه الآية كثيرا، وكلما وقفت عندها استوقفتني مليا، وذات مرة أحببت أن أبحث عن أقوال المفسرين فيها، فراعني ما قاله البقاعي (٢)

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الجُعْفِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ حَمْزَةَ الزَّيَّاتَ، عَنْ أَبِي المُخْتَارِ الطَّائِيِّ، عَنْ ابْنِ أَخِي الحَارِثِ الأَعْوَرِ، عَنْ الحَارِثِ، عن علي (٥/ ٢٢) رقم٢٩٠٦ باب ما جاء في فضل القرآن، وقال عنه: غريب، وصححه الحاكم من طريق آخر في المستدرك (١/ ٧٤١) رقم ٢٠٩٠ قال: حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَسَّانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيُّ الْفَقِيهُ ، ثنا مُسَدَّدُ بْنُ قَطَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، ثنا دَاوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ ، ثنا صَالِحُ بْنُ عُمَرَ ، أَنْبَأَ إِبْرَاهِيمُ الْهَجَرِيُّ ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ربن مسعود َضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،

(٢) هو إِبْرَاهِيم بن عمر بن حسن الرِّبَاط، بن عَلِيّ بن أبي بكر البقاعي الشَّافِعِي، برهَان الدّين أَبُو الْحسن، الْعَلامَة الْمُحدث الْحَافِظ. ولد سنة تسع وَثَمَانمِائَة تَقْرِيبًا وَأخذ القرآت عَن ابْن الْجَزرِي وَغَيره، والْحَدِيث عَن الْحَافِظ ابْن

في نظم الدرر أن هذه الآية تتكلم عن عشر مقاصد للدعوة وقسمها إلى قسمين قسم نظري وقسم عملي، فهرعت أبحث عن كتب الدعوة هل تنبه أحد إلى ما قاله البقاعي، فقد كتب كثيرون في هذا المجال كثيرا جدا وأحسنوا، ولكنهم لم يفعلوا فعله، ولكن أن تنظر إلى آية واحدة وتراها نظمت لك الأصول وقعدت لك القواعد فهذا شيء عظيم، وهو يكفيك عناء البحث والترتيب، ويكفيك الاجتهاد في التقعيد والتأصيل، وما عليك إلا أن تتذكر ما قاله الله تعالى في ثنايا كتابه عن كل موضوع، وترجع إلى بيان ذلك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أهداف الموضوع: بعد ما قلناه لا تخفى الأهداف من هذا البحث، وهي:

أولا: ضبط الدائرة العامة للدعوة.

ثانيا: تأصيل الأصول وتقعيد القواعد على الطريقة القرآنية، بحيث يضع كلمة تشير إلى علم، ويطلب منك أن تتبع أصول ذلك العلم.

ثالثا: تحديد المسار للعمل الدعوي، فيما يجب أن يهتم به الداعية.

رابعا: تقديم صورة كاملة مختصرة لكل داعية على ضوء القرآن والسنة، حتى لا تضل الأهواء وتتشعب الطرق.

خامسا: توفير الجهود في البحث والانصياع للتعليمات الإلهية، كي لا يضيع المسلم حياته في تحصيل الحاصل.

سادسا: تقديم صورة صحيحة للتدبر في كتاب الله عز وجل.

الأبحاث السابقة: موضوع الدعوة إلى الله موضوع تكلم فيه السلف والخلف، سواء ضمن كتاب عام أو متخصص، أما من حيث العموم فلا يضرنا أن نقول: إن الكتب الإسلامية كلها تعد من كتب الدعوة، وعلى رأسها القرآن الكريم بكل التفاسير، والسنة النبوية بكل شروحها، وما يتبع ذلك من كتب العقيدة والفقه والسيرة والتاريخ وغير ذلك، لأنها علوم يلزم على الداعية أن يلم بها، ويدعو إلى الله من خلالها على بصيرة.

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول " بلغوا عني ولو آية " (٣)

ويقول أيضا " نضر الله امرءاً سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه "(٤)

وأما من حيث التخصص فإن الكتب المفردة تعتبر كتبا في الدعوة، مثل كتب الآداب والتوبة والمواعظ والأذكار والمفتي والمستفتي، ولكني لم أجد من القدامى من كتب في الدعوة كفنٍّ كتابا مستقلا، ولا ذكر أحد من المتخصصين كتابا لهم.

وأما المعاصرون منذ مطلع القرن العشرين فقد كتبوا في ذلك كتبا كثيرة لا تحصى عن الدعوة والدعاة ووسائل ذلك،(٥)

حجر، وَالْفِقْه عَن التقي بن قَاضِي شُهْبَة. ولازم القاياتي، والونائي، وَسَائِر الْأَشْيَاخ. توفي بدمشق سنة ٨٨٥ هـ. ظم العقيان في أعيان الأعيان (ص: ٢٤)

(٣) أخرجه البخارى (٤/ ١٧٠) ٣٤٦١ كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل،

(٤) أخرجه الترمذي قال: حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ قَالَ: أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، مِنْ وَلَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، (٤/ ٣٣٠) رقم ٢٦٥٦ و ٢٦٥٧ كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، وقال : حسن صحيح،

(٥) ينظر على سبيل المثال

الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة: حمد بن حامد آل عثمان الغامدي

الدعوة إلى الله بالمجادلة مفهومها ومشروعيتها وضوابطها. د : إبراهيم بن صالح الحميدان

فقه الدعوة في صحيح البخاري: سعيد بن علي بن وهب القحطاني

ولم أجد من تبحر في هذه الآية الضابطة، وأخذها كعنوان يقتدى به، سوى ابن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ) ونقلها عنه البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) رحمهما الله تعالى، ومن هنا أحببت أن أسجل غزارة المفاهيم في هذه الآية. (٦)

منهج البحث: والمنهج المتبع في هذا البحث استقرائي ممزوج بالمنهج الاستنباطي، لأنه يستقريء ما جاء في القرآن الكريم في كل فقرة وردت في هذه الآية، ويستنبط المعاني التي تشتمل عليها.

ولا زيادة على ذلك إلا أننا نضيف إلى ذلك أقوال المفسرين وشراح السنة، ثم ننظر في أقوال الكتاب المتخصصين هل ذكروه أم أهملوه.

ويستطيع الباحث أن يخرج من ذلك بنتيجة هائلة ومادة غزيرة لمن أراد التوسع.

خطة البحث

تتضمن خطة البحث مقدمة وتمهيدا ومبحثين

المقدمة: وفيها الاستهلال، وأهمية الموضوع، وسبب اختياره، وأهداف الموضوع، والأبحاث السابقة، ومنهج الباحث.

التمهيد: وفيه بيان محور ما تشتمل عليه سورة الشورى مما يتعلق بالوحي الإلهي المنزل على جميع رسله والذي يجعل دين الله واحدا، وأن الناس يعبدون ربا واحدا.

المبحث الأول
ركائز الدعوة

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: وجوب تبليغ الدعوة على الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- وعلى المسلمين

الدعوة للغزالي
الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها احمد عمر هاشم =
= بصائر دعوية محمد علي محمد امام
تبصير الهداة بشأن الدعوة والدعاة عبد الله بن صالح القصير
الدعوة الإسلامية طرق الخلاص د صادق امين
الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية د صادق امين
الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها أحمد أحمد غلوش
الدعوة الإسلامية واعداد الدعاة : محمد بن ناصر العبودي
خصائص الدعوة الإسلامية مصادرها عالميتها شمولها: محمد امين حسن
تاريخ الدعوة الإسلامية : وحيد الدين خان
الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة: محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي
معالم أصول الدعوة د محمد يسري
أسس الدعوة الى الله د محمد امحزون المغرب
البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي د فريد الأنصاري
الدعوة السلفية: محمود عبد الحميد العسقلاني
الدعوة.. ووسائل الاتصال الحديثة : د. جعفر شيخ ادريس رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة
الدعوة الفردية وأهميتها في تربية الأجيال: عقيل بن محمد بن زيد المقطري
الدعوة إلى الله فضلها وثمراتها : صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله،
وهذه الكتب تعبر عن اتجاهات وتيارات متعددة، وتصب في حقل الدعوة

(٦) تفسير ابن كثير ١٠٩/٤ نظم الدرر (٦/ ٦١٢)

المطلب الثاني: وجوب استقامة الداعي على منهج الله تعالى
المطلب الثالث: عدم اتباع الأهواء الصارفة عن منهج الله
المطلب الرابع: الإيمان بالمنهج المنزل المطلب الخامس: الإيمان بالكتب السماوية

المبحث الثاني

الأهداف العملية للدعوة الى الله وثمراتها

وفيه خمسة مطالب
المطلب الأول: إقامة العدل وهو الهدف الأساسي من الدعوة
المطلب الثاني: إقامة المجتمع الرباني بالاحتكام لله
المطلب الثالث: المسؤلية الفردية على العمل
المطلب الرابع: الاعتماد على الحجج الواضحة لقطع الجدل
المطلب الخامس: التذكير باليوم الآخر والبعث لأنه يوم الجزاء للجميع.

التمهيد

وفيه بيان محور ما تشتمل عليه سورة الشورى
مما يتعلق بالوحي الإلهي باتحاد الدين والمعبود

قبل الخوض في التمهيد نشير إلى أننا قدمنا الحديث عن أهمية الدعوة إلى الله في المقدمة، كما نشير إلى أن البحث في التفسير وليس له مصطلحات خاصة به.

ثم نقول: إن الآية التي نحن بصدد الحديث عنها هي من سورة الشورى، وسورة الشورى تتكلم عن الوحي والتوحيد والعدل والنبوات ووحدة المسلمين والمعاد وتقبيح أحوال الدنيا والترغيب في الآخرة. (٧)

وهي مكية إلا أربع آيات – الآية ٢٣ و٢٤ و٢٥ و٣٩ - نزلت بعد فصلت، وسميت بالشورى لقوله عز وجل فيها: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} [الشورى: ٣٨] وتبدأ بالحروف المقطعة التي لا يعلم المراد بها إلا الله ورسوله، ولم ينقل لنا علم في هذا بسند مقبول، وما قاله بعض المفسرين عن معاني هذه الحروف فهي اجتهادات ومفاهيم خاصة بهم، مع أنهم اتفقوا على القول بأنها حروف ذكرها الله لتحدي العرب بأن هذا القرآن عربي من الحروف التي تنطقون بها، (٨)

وبعد ذلك تتكلم السورة عن الوحي {كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ} [٣] و {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} [٧] و {اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ} ١٧] ويختم السورة عن الوحي كما بدأ بها فيقول سبحانه {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ * وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * } وكل هذا يتضمن الحديث عن النبوة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو المتلقي للوحي، ويتبع ذلك بالحديث عن احترام هذا النبي وقرابته بقوله {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [٢٣] ويثبت قلبه في أواخر السورة ويقول {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ} [٤٨] ويتكلم عن قدرته في خلقه وعظمته وصفاته فيقول { لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [٤] و {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [١١] {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ } [٢٩] {لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

(٧) تفسير الرازي (٢٧/ ٥٧٥)
(٨) تفسير القرطبي (١٦/ ١) تفسير ابن كثير (١٢/ ٩٩٢) البحر المحيط (٩/ ٣٢٢)

[١٢] بعد أن ذكر كثيرا من صفاته : العزيز الحكيم، والعلي العظيم، والولي الحميد، والحفيظ والعليم، والسميع البصير، والقوي. ثم يضع قاعدة إيمانية عظيمة فيقول {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [١١] ويتكلم عن توحيد الدين {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [١٣]

ويتكلم عن العدل {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} [٣٨] {وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ} [١٥] ثم يرسي قواعد العدل الإلهي بقوله {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } [٤٠ - ٤٣] ويتكلم عن المعاد واليوم الآخر كثيرا فيقول {وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ } [٧] { وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى} [٩] {اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا} [١٥] {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} [١٧، ١٨] {وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ} [٤٥]

ويبين الله تعالى في هذه السورة أيضا قبح أحوال الدنيا ويرغبنا في الآخرة فيقول {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [٢٠] وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاء إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ * وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ}[١٧- ١٨] {فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} ٣٦] {اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ} [٤٧]

وكل هذه أمور إيمانية يجب الإيمان بها، والدعوة إليها والحفاظ عليها، بالطريقة التي رسمها القرآن الكريم دون خوف أو عجز.

ولذلك يذكر الله تعالى قبل الآية التي سوف نتناولها بالتحليل قوله {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ* وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ } [١٣، ١٤] فهو يحذرنا من التفريط في هذا الدين والتفرق بعد العلم، كما فعلت الأمم التي قبلنا ثم هلكت لأجل ذلك التفرق، ويحثنا على الاتحاد بقوله {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [آل عمران: ١٠٣ - ١٠٥]

فالتفرق بعد العلم عذابه عظيم في الدنيا والآخرة، وخيريّتنا ونعيمنا هو في الدعوة إلى الله التي هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وينهانا عن التنازع ويبين لنا نتيجة ذلك فيقول {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦]

وهذا النهي وذلك الأمر ندآن متوجهان للمسلمين في كل زمان ومكان، وعلى كل داعية أن يرفع صوته بذلك ويحذر المسلمين من مغبة هذا التفرق الذي أدى إلى ضعفهم وذهاب ريحهم، وتسلط عدوهم عليهم.

وكذلك لا بد أن نسجل كلام ابن كثير والبقاعي رحمهما الله تعالى في تفسير الآية التي نحن بصدد الحديث عنها فكلامهما هو المفتاح لهذا البحث:

قال ابن كثير والبقاعي بعد إيراد الآية:

ولما ثبت بهذا زيغهم عن أوامر الكتاب الآتي من الله سبب عنه أمره صلى الله عليه وسلم بإبلاغ الناس ما ينفعهم عن رسالة ربه الذي أنزل تلك الكتب في آية واحدة مفصلة بعشر كلمات في كل كلمة منها حكم برأسه، قالوا: ولا نظير لها إلا آية الكرسي، فإنها عشرة أصول كل أصل منها مستقل برأسه، فقال مسبباً عن حالهم الاجتهاد في إزالتها والعمل بضدها: (فلذلك) أي لهذا الوحي العلي الرتبة الذي وصينا بمقاصده جميع الرسل أصحاب الشرائع الكبار من أولي العزم وغيرهم، أو لذلك التصرف المباعد للصواب والشك في أمر الكتاب.

ولما كان سياق الدعوة للخلق إلى ما أوحى إليه أنزل عليه، قدم قوله:

١- (فادع) إلى من أرسلك الله به من الاتفاق على ما أمر به الإله من الاجتماع على الملة الحنيفية .

ولما كان الداعي لغيره لا ينفع دعاءه لذلك الغير ما لم ينفع نفسه، قال:

٢- (واستقم) أي اطلب القوم من ربك على مشاق الدعوة ليعينك عليه وأوجده على ما يدعو إليه كتابه مما تدعو إليه ويجب عليه.

(كما أمرت) ممن لا أمر لغيره في تفاصيل الدعاء من اللين والغلظة والتوسط وغير ذلك من تحديث الناس بما تحتمل عقولهم وتربيتهم على حسب ما ينفعهم.

ولما كان كل ما خالف كتابنا هوى، وكل ما خالف كتابنا فهو على مجرد الهوى، قال:

٣- (ولا تتبع) أي تعمداً (أهواءهم) في شيء ما، فإن الهوى لا يدعو إلى خير، والمقصود من كل أحد أن يفعل ما أمر به لأجل أنه أمر به لا لأجل أنه يهواه.

ولما كانوا قد تفرقوا في الكتاب وشكوا فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، أمره بما يخالف حالهم فقال:

٤- (وقل) أي لجميع أهل الفرق، وكل من يمكن له القول فإنك أرسلت إلى جميع الخلق: (آمنت بما) أي بكل شيء.

ولما كان أكمل الناس إيماناً أكثرهم استحضاراً لأوصاف الكمال من الجلال والجمال صرف القول إلى الاسم الأعظم إشارة إلى سلوك أعلى المسالك في ذلك فقال:

(أنزل الله) أي الذي له العظمة الكاملة (من كتاب) لا أفرق بين شيء من كتبه ولا أحد من رسله ، بل كل كتاب ثبت النظرية ، قال أبو علي القالي في ذيل الأمالي : حدثنا أبو بكر - هو ابن الأنباري - حدثنا أبو جعفر محمد بن عثمان رضي الله عنه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ما الإيمان أو كيف الإيمان ؟ قال : الإيمان على أربع دعائم : على الصبر واليقين والعدل والجهاد ، والصبر على أربع شعب : على الشوق والشفق والزهادة والترقب ، فمن اشتاق إلى الجنة سلى عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن الحرمات ، ومن زهد في الدنيا تهاون بالمصيبات ، ومن ارتقب الموت رجع عن الحرمات ، ومن زهد في الدنيا تهاون بالمصيبات ، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات ، واليقين على أربع شعاب : تبصرة الفطنة وتأويل الحكمة وموعظة العبرة وسنة الأولين ، فمن تبصر الفطنة تأول الحكمة ، ومن تأول الحكمة عرف بالعبرة ، ومن عرف العبرة عرف السنة ، ومن عرف السنة فكأنما كان في الأولين ، والعدل على أربع شعب : على غائص الفهم وزهرة الحلم وروضة العلم وشرائع الحكم ، فمن فهم جمع العلم ، ومن حلم لم يضل في الحكم ، ومن علم عرف شرائع الحكم ، ومن حلم لم يفرط أمره ، وعاش في الناس .

والجهاد على أربع شعب: على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن وشنآن الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم آناف الفاسقين، ومن صدق في المواطن

فقد قضى عليه، ومن شنئ المنافقين غضب الله وغضب الله له فأزلفه وأعلى مقامه، قال: فقام الرجل فقبل رأسه.

ولما أخبر بالعدل في القوة النظرية، أتبعه ذلك في القوة العملية فقال:

٥- (وأمرت) أي ممن له الأمر كله بما أمرني به مما أنزل عليّ (لأعدل) أي لأجل أن أعدل (بينكم) أيها المفرّقون في الأديان من العرب والعجم من الجن والإنس كما دعي إليه كمال القوة العملية، ثم علل ذلك بقوله:

٦- (الله) أي الذي له الملك كله (ربنا وربكم) أي موجدنا ومتولي جميع أمورنا، فلهذا أمرنا بالعدل على سبيل العموم لأن الكل عباده.

٧- ولما كان الرب واحداً أنتج عنه قوله: (لنا أعمالنا) خاصة بنا لا تعدونا إلى غيرنا (ولكم أعمالكم) خاصة بكم لا تعدونا إلى غيركم، لأنه لا داعي لأن نأخذ عمل بعضنا فنعطيه لغيره، لأن ذلك لا يفعله إلا ذو غرض، وهو سبحانه محيط بصفات الكمال، فهو منزه عن الأغراض، ولما وصل بتمام هذه الجملة في إزالة الريب وإثبات الحق إلى ما هو كالشمس لثبوت الرسالة بالمعجزات وإعجاز هذا الكتاب وتصادقه مع ما عند أهل الكتاب، وبيان هاتين المقدمتين اللتين لا نزاع بين أحد من الخلق فيهما كانت نتيجة ذلك:

٨- (لا حجة) أي موجودة بمحاجة أحد منا لصاحبه (بيننا وبينكم) لأن الأمر وصل إلى الانكشاف التام فى فائدة بعدة للمحاجة فما بقي إلا المجادلة بالسيوف، وإدارة كؤوس الحتوف، لأنا نعلم بإعلام الله لنا في كتابه الذي دلنا إعجازه للخلائق على أنه كلامه، فنحن نسمعه لذلك منه أنا على محض الحق وأنكم على محض الباطل، وقد أعذرنا إليكم وأوصلنا ببراهينه إلى المشاهدة فلم يبق إلا السيف عملاً بفضيلة الشجاعة.

ولما كان هذا موضع أن يقال: أفما تخافون الله فيمن تقاتلونه وهو عباده، أجاب بقوله مظهراً غير مضمر تعظيماً للأمر:

٩- (الله) أي الذي هو أحكم الحاكمين (يجمع بيننا) أي نحن وأنتم على دين واحد أراد فلا يكون قتال، وفي الاخرة على كل حال فهو يحكم بيننا (وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون) [الشعراء: ٢٢٧] فما أقدمنا على القتال إلا عن بصيرة.

ولما كان الجامع بين ناس قد يكون مآلهم إلى غيره، بين أن الأمر فيه على غير ذلك، فقال عاطفاً على ما تقديره: فمنه كان المبدأ:

١٠- {وإليه} أي لا إلى غيره من حيث هذا الاسم الجامع لجميع الصفات {المصير} حساً ومعنى لتمام عزته وشمول عظمته وكمال رحمته، وما كان فيما بين المبدأ والمعاد من الأمور التي كانت بحيث يظن أنها خارجة - لتصرف الغير فيها - إنما كانت ابتلاء منه يقيم بها الحجة على العباد على ما يتعارفونه بينهم، وما كان المتصرف فيها غيره فتصرفهم إنما كان أمراً طارئاً يصحح عليهم الحجة ويلزمهم الحجة. (٩)

المبحث الأول

ركائز الدعوة
(الأسس العامة)

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: وجوب تبليغ الدعوة على الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- وعلى المسلمين

المطلب الثاني: وجوب استقامة الداعي على منهج الله تعالى

(٩) تفسير ابن كثير ١٠٩/٤ نظم الدرر (٦/ ٦١٢) واللفظ للبقاعي

المطلب الثالث: عدم اتباع الأهواء الصارفة عن منهج الله
المطلب الرابع: الإيمان بالمنهج المنزل المطلب الخامس: الإيمان بالكتب السماوية

المطلب الأول

وجوب تبليغ الدعوة على الرسول صلّى الله عليه وسلّم وعلى المسلمين

أولا: أما وجوب الدعوة المستفاد من قوله تعالى {فَلِذَلِكَ فَادْعُ} فقد أوجب الله تعالى على الأنبياء جميعا الدعوة إلى دين الله، كما تقدم، وكما قال تعالى {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: ١٦٣ - ١٦٥]

فعبر عنهم بالمنذرين والمبشرين

وقال أيضا: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ} [يونس: ٢]

وبين أن كل من خالف دعوتهم أهلكهم الله تعالى فقال: {إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ} [ص: ١٤]

وعلى هذه السنة جرت حكمة ربنا أن يرسل نبينا صلى الله عليه وسلم ويوجب عليه الدعوة إلى الله بقوله: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: ١٢٥] وقال أيضا: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ} [المدثر: ١، ٢]

وقد استجاب النبي صلى الله عليه وسلم لأمر ربه وبين للناس ذلك فقال: "مثلى ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبته طائفة فأصبحوا مكانهم منهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني فكذب بما جئت به من الحق "(١٠)

وبمثل ذلك كان يدعو أهله وعشيرته كما هو مشهور، (١١)

ثانيا: وجوب الدعوة على المسلمين: والدعوة كما هي واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم فهي واجبة أيضا على كل مسلم، كل على قدر حاله لا يتجاوزه، بنفس النص، ولكن الله أكد على الأمة بنص مستقل ليبين للأمة من هو المقصود بالوجوب الكامل العام، فقال تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٠٤]

والخير هنا هو الإسلام كما قال أهل التفسير، ويدخل في ذلك أحكام الشريعة التي تشمل عمل الدنيا والآخرة. (١٢)

---

(١٠) أخرجه البخارى (٨/ ١٠١) رقم ٦٤٨٢ كتاب الرقاق باب الانتهاء عن المعاصي، ومسلم (١٧٨٨/٤ رقم ٢٢٨٣) كتاب الفضائل باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته.

وقوله" انا النذير العريان" معناه أن التذير وهو الذي رأى جيش العدو لم يكن لديه وقت أن يبحث عن شيء يلوح به غير ثوبه فخلعه ليلوح به، أو أن العدو أمسك به فجرده من ثيابه فتمكن من الهرب عاريا فكان دلالة كبيرة على صدقه في رؤية العدو. شرح السنة للبغوي (١/ ١٩٥) وقوله النجاء النجاءأي اطلبوا النجاة بأنفسكم. فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣١٧)

(١١) أخرجه البخاري (٦/ ١١١) رقم ٤٧٧٠ كتاب التفسير باب {وأنذر عشيرتك الأقربين} ومسلم (١/ ١٩٣) رقم ٢٠٧ كتاب الإيمان باب في قوله تعالى {وأنذر عشيرتك الأقربين}

(١٢) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٢٧) تفسير البغوي (٢/ ٨٥)

ثم بين الطريق الذي يجب أن يسلكه الداعية فقال: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة: ١٢٢] فالدعوة الكاملة على العالم الذي تعلم الدين من كتاب وسنة وما يلزمهما. (١٣)

وأما قوله صلى الله عليه وسلم "بلغوا عنى ولو آية " (١٤) فهذا معناه التحمل، أي الآية التي سمعها، دون اجتهاد أو فتوى، فيؤدي كما سمع، بفسره قوله صلى الله عليه وسلم "نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا حَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ " (١٥)

فالداعية له شروط ذكرها العلماء والمفسرون أهمها العلم كما في قوله تعالى {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل: ١٢٥] فالدعوة بالعلم له أسس ثلاثة وهي الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الأحسن، ويتأكد ذلك مع أهل الكتاب، كما قال تعالى{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } [العنكبوت: ٤٦] (١٦)

ولا يستطيع الجاهل أن يجادل أهل الكتاب، وهو لا يفرق بين الذين ظلموا وغير الذين ظلموا، بل يخفى عليه معنى هذه الآية، فلا بد من العلم. وقد بين أهل العلم أن الذين ظلموا منهم هم أهل دار الحرب، فقد روي عن مجاهد قال: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَى بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} قَالَ: الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ أَهْلُ الْحَرْبِ مَنْ لَا عَهْدَ لَهُ فَتُجَادِلُونَهُمْ بِالسَّيْفِ(١٧)

فالعلم هو الشرط الأساسي لوجوب الدعوة تحملا وأداء، وليس مختصا بالنبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: ١٠٨] فالبصيرة والتبصر في أمور الدعوة صفة للذين يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته.

وكما تفسر البصيرة بالعلم تفسر باليقين، أي العلم المتيقن منه، فهو دعوة على حجة واضحة لا لبس فيها ولا غموض. كما ذهب إلى ذلك كثير من المفسرين الكبار. (١٨)

المطلب الثاني

وجوب استقامة الداعي على منهج الله تعالى

قوله تعالى{فاستقم}السين والتاء للطلب والطلب هنا أمر، وهو أمر من الله للداعية أن يطلب منه أن يستقيم على منهج الله الذي يدعو إلى دينه، فالاستقامة الاستمرار على الطريق المستقيم، من غير إخلال بشيء من المأمور به، وهو أمر صعب شاق على النفس، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلزم نفسه بأعلى درجات

---

(١٣) تفسير مجاهد (ص: ٣٧٧) تفسير عبد الرزاق (٢/ ١٧٠) تفسير الطبري (١٤/ ٢٥٦)

(١٤) أخرجه البخارى (١٢٧٥/٣، رقم ٣٢٧٤) كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ،.

(١٥) أخرجه أبو داود (٥/ ٥٠١) رقم ٣٦٦٠ : كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، قال: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن شعبة، حدثني عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب، عن عبد الرحمن بن أبان، عن أبيه عن زيد بن ثابت، والترمذي (٤/ ٣٣٠) رقم ٢٦٥٦ في العلم: باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، قال: سنن الترمذي ت بشار (٤/ ٣٣٠)

حدثنا محمود بن غيلان، قال: حدثنا أبو داود، قال: أخبرنا شعبة، قال: أخبرنا عمر بن سليمان، من ولد عمر بن الخطاب قال: سمعت عبد الرحمن بن أبان بن عثمان، يحدث عن أبيه، وحسنه.

(١٦) تفسير الطبري (١٤/ ٤٠٠) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٠٠) تفسير الرازي (٢٠/ ٢٨٦)

(١٧) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٩) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٦)

(١٨) زاد المسير (٢/ ٤٧٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٢)

الالتزام، فقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى ترم قدماه - أو ساقاه - فيقال له فيقول: " أفلا أكون عبدا شكورا "(١٩)

والاستقامة معناها عظيم قال المفسرون: فيه ستة أوجه:

أحدها: ثم استقاموا على أن الله ربهم وحده، وهو قول أبي بكر رضي الله عنه ومجاهد. الثاني: استقاموا على طاعته وأداء فرائضه، قاله ابن عباس والحسن وقتادة.

الثالث: على إخلاص الدين والعلم إلى الموت، قاله أبو العالية والسدي.

الرابع: ثم استقاموا في أفعالهم كما استقاموا في أقوالهم.

الخامس: ثم استقاموا سراً كما استقاموا جهراً.

السادس: أن الاستقامة أن يجمع بين فعل الطاعات واجتناب المعاصي لأن التكليف يشتمل على أمر بطاعة تبعث على الرغبة ونهي عن معصية يدعو إلى الرهبة. (٢٠)

وليس الأمر مخصوصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بل هو مطلوب من كل من سار على نهجه ليكون قدوة لغيره، كما قال تعالى {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ} [هود: ١١٢]

وهذه هي دعوة القدوة أو دعوة الحال أو الدعوة الصامتة، كما يسميها بعض العلماء، ويسميها آخرون بالدعوة الفعلية، وهي أبلغ أنواع الدعوة، كما علمنا رسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الحديبية لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتابة الصلح أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال: "انحروا الهدي واحلقوا"، قال: فوالله ما قام رجل منهم رجاء أن يحدث الله أمرا، فلما لم يقم أحد منهم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة، فقال: "ما لقيت من الناس" قالت أم سلمة: أو تحب ذاك؟ اخرج ولا تكلمن أحدا منهم كلمة، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك، فقام النبي صلى الله عليه وسلم، فخرج، ولم يكلم أحدا منهم، حتى نحر بدنه، ثم دعا حالقه فحلقه، فلما رأى ذلك الناس جعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا. (٢١)

وكذلك علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون حالنا بين الناس مثلهم لا نتعالى عليهم ولا نستغل خدمة الناس حتى لا نملهم، فقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، كان أبو لبابة، وعلي بن أبي طالب، زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وكانت عقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فقالا نحن نمشي عنك، فقال: " ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما "(٢٢) .

فالمسلم باستقامته ينال رضى الله والله يرضي الناس عنه رغم أنوفهم، وما أعظم ما وعد الله تعالى الدعاة حيث يقول: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ * وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * } [فصلت: ٣٠ - ٣٤]

---

(١٩) أخرجه البخاري (٢/ ٥٠) رقم ١١٣٠ كتاب الصلاة، باب: قيام النبي صلى الله عليه وسلم الليل حتى ترم قدماه. ومسلم (٤/ ٢١٧١) رقم ٢٨١٩ في صفات المنافقين وأحكامهم باب إكثار الأعمال والاجتهاد.

(٢٠) تفسير الماوردي (٥/ ١٧٩) زاد المسير (٤/ ٥١) تفسير البغوي (٧/ ١٧٢)

(٢٠) أخرجه البخاري (٣/ ١٩٣) رقم (٢٧٣١) في الشروط: باب الشروط في الجهاد ، ومسلم (٣/ ١٤١١) رقم (١٧٨٥) كتاب الجهاد، باب صلح الحديبية

(٢٢) أخرجه أحمد (٧/ ١٧) رقم ٣٩٠١ قال: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا عاصم ابن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٣) رقم٤٢٩٩ وصححه وأقره الذهبي.

فالله سبحانه وتعالى يرسم لأهل الاستقامة طريق التثبيت، وأن ذلك لا يقتصر على ثواب الآخرة بل في الدنيا أيضا، ولذا قال أيضا: {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا} [الجن: ١٦] فهذا كله من باب التثبيت، كما قال تعالى {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧] والاستقامة هي الوصية التي أوصى بها النبي صلى الله عليه وسلم المتقين، الذين يبحثون عن صدق العمل والنية دون كثير من القول، كما روي عن سفيان بن عبد الله الثقفي، قال: قلت: يا رسول الله، حدثني بأمر أعتصم به، قال: " قل: ربي الله، ثم استقم " قال: قلت: يا رسول الله، ما أكبر ما تخاف علي؟ قال: فأخذ رسول الله بلسان نفسه، ثم قال: " هذا " قال يزيد في حديثه: " بطرف لسان نفسه " (٢٣)

فالمستقيم هو الذي يدافع عن الدين ويدعو إليه بالتزامه بدينه كأنه جندي مجهول، وكأنه مرابط على الثغور، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم " كل رجل من المسلمين على ثغرة من ثغر الإسلام، الله الله لا يؤتى الإسلام من قبلك " (٢٤)

وبعد الاستقامة بالحال تأتي الاستقامة بالمقال، أي الدعوة باللسان على العالم بشروطه وصفاته، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقصد التأليف والفلاح، كما قال تعالى {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٠٤] وما نالت الأمة صفة الخيرية إلا بهذه الصفة، كما قال تعالى {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: ١١٠] لكن بالنسبة لغير الأنبياء يصعب الالتزام الكامل الدقيق، كما في الحديث القدسي" يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم" (٢٥)

ومن هنا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خيرَ أعمالِكم الصلاةُ، ولا يحافظُ على الوضوءِ إلا مؤمنٌ "(٢٦)

المطلب الثالث

عدم اتباع الأهواء الصارفة عن منهج الله

قوله تعالى:(ولا تتبع أهواءهم) من المسلّم به أن الدعوة إلى الله تكون على منهاج الله، لا على هوى أحد، وقد حفظ الله نبينا صلى الله عليه وسلم عن الهوى وشهد له بأنه {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: ٣، ٤]

وصرح القرآن الكريم بأن الله ثبت نبيه الكريم في معترك دعوته مع الكفار فقال تعالى {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا *وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا} [الإسراء: ٧٣ - ٧٥]

ومع كل هذا التثبيت تكرر النهي عن اتباع أهواء الضالين فقال تعالى {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: ١٢٠] وقال: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ

---

(٢٣) أخرجه مسلم١/ ٦٥ رقم ٦٢ في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإيمان .

(٢٤) السنة للمروزي (ص: ١٣) رقم ٢٨

(٢٥) أخرجه مسلم (١٩٩٤/٤، رقم ٢٥٧٧) كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم ،)

(٢٦) أخرجه أحمد (٢٧٦/٥ رقم ٢٢٤٣٢) بسند صحيح، قال: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، وروح، حدثنا هشام بن أبي عبد الله (١) ، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحبي قال: حدثني ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصححه الحاكم في المستدرك (٢٢٢/١، رقم ٤٤٩)

ومعنى: ولن تحصوا، أي لن تحصو الأعمال كاملة ولكن سددوا وقاربوا، كما في رواية ابن حبان " سددوا وقاربوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن"

مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ}[البقرة: ١٤٥] وقال{ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ } [المائدة: ٤٨] وقال: { وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ} [المائدة: ٤٩]

فهذه الدعوة وهذا الدين بوضع الله تعالى الذي يعلم ما يصلح عباده في دينهم ودنياهم، لا دخل لهم في تشريع شيء، حتى لو كان مخالفا لأهوائهم وتمنياتهم، قال تعالى: {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ} [المؤمنون: ٧١]

حتى المسلمون لا دخل لهم في التشريع بل التشريع محض إرادة الله تعالى ولو كان الطبع يكره ذلك، قال تعالى {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢١٦] (٢٧)

ولكن الله تعالى يعلمنا أن أصحاب الأهواء لا يعجبهم شيء حتى الأنبياء، قال تعالى {كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ} [المائدة: ٧٠] وهؤلاء لا يجوز أن يَسمع لهم ولا يعتبر بكلامهم كما قال تعالى {وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ } [هود: ١١٣]

ومن هذا القبيل لا يجوز أن نخجل من أحكام ديننا بحجة أن ذلك لا يعجب أصحاب الأهواء من الكفار ومن نهج نهجهم، فقد تجد بعض الكتّاب – ونعني بهم كل أصحاب الفكر الغربي - يحاولون التغطية على بعض الأحكام الشرعية لإرضاء الكفرة، فلا يعجبهم مثلا قطع يد السارق وجلد القاذف وتعدد الزوجات، ويستهزئون بعدد الحور العين للمسلم في الجنة، مع أنه ورد في القرآن الكريم كثيرا قوله تعالى { وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ} [الدخان: ٥٤] وقال {حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} [الرحمن: ٧٢] فجمع ولم يفرد أو يثن. وجاء في السنة أنهن ثنتين وسبعين وغير ذلك. (٢٨)

صحيح أننا لا يجوز أن نبدأ غيرنا الدعوة بأن في ديننا قطع السارق وجلد القاذف بل نبدأ بالتوحيد والإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم، ثم نبين الأحكام في الخطوة التالية.

فإن لم يعجبهم فهم ضالون لن ينفعنا إيمانهم ولن يضرنا كفرهم، كما قال تعالى: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [القصص: ٥٠] وقال أيضا: { بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [الروم: ٢٩] وهؤلاء الذين قال الله فيهم: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ *إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ } [الحجر: ٩٤ - ٩٨]

المطلب الرابع
الإيمان بالمنهج المنزل

(٢٧) تفسير السمرقندي (١/ ١٤٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٨٩) واستدلوا على الوجوب بحديث مسلم "من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق"

(٢٨) أخرجه الترمذي (٣/ ٢٣٩) رقم ١٦٦٣، كتاب الجهاد باب في ثواب الشهيد، من طريق: سنن الترمذي ت بشار (٣/ ٢٣٩)

عبد الله بن عبد الرحمن، قال: حدثنا نعيم بن حماد، قال: حدثنا بقية بن الوليد، عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن المقدام بن معدي كرب ، وقال: صحيح غريب،

قوله تعالى:(وقل آمنت بما أنزل الله) هذا هو الأصل الأصيل في الدعوة، وهو أنه لا بد من منهج يمشي عليه البشر، وأن البشر لا يصلحهم منهج أرضي، وهذا شيء يجب أن يسلم به البشر، فلا يجوز التسليم لجاهل، والإنسان إذا مرض لا يستسلم إلا لطبيب عالم عاقل له سمعة، وإذا تأكد من فهم الطبيب وحذاقته يستسلم له استسلاما كاملا ولا يعترض عليه، ولو كان في ذلك قطع بعض أعضائه، وفوق ذلك يعطيه أجرة.

والله تعالى أنزل لنا كتابا فيه منهج كامل لشؤن الدين والدنيا، ولما أكمله وأتمه قال لنا: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣] فلا يحق لبشر ولو كان نبيا مرسلا، كما في بيان مستحقي الزكاة، فقد روي عن زياد بن الحارث الصدائي، قال: أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فبايعته، فذكر حديثا طويلا قال: فأتاه رجل فقال: أعطني من الصدقة، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو، فجزأها ثمانية أجزاء، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك حقك" (٢٩)

وقد قاتل أبو بكر الصديق مانعي الزكاة حتى أذعنوا له، وهو المفهوم الذي استسلم له عمر وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم في قتال مانعي الزكاة. (٣٠)

فهذا منهج الإسلام السماوي الذي جاء ليصلح البشرية في أحكامٍ غير قابلة للتغيير، تنشر الطهر والفضيلة والأخلاق، وحدودٍ كفيلة بنشر الأمان والعدل في العالم، يتعامل الناس بالمساواة الاجتماعية والصدور السليمة النقية وحسن الأخوة، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ }إلى آخر الآيات [الحجرات:١٠- ١٣]

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم " يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى أبلغت "، قالوا: بلغ رسول الله، ثم قال: " أي يوم هذا؟ "، قالوا: يوم حرام، ثم قال: " أي شهر هذا؟ "، قالوا: شهر حرام، قال: ثم قال: " أي بلد هذا؟ "، قالوا بلد حرام، قال: " فإن الله قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم " ـ قال: ولا أدري قال: أو أعراضكم، أم لا ـ كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا أبلغت "، قالوا: بلغ رسول الله، قال: " ليبلغ الشاهد الغائب " (٣١)

هذا هو الإسلام من رضيه كان مسلما ومن لم يرض به فليس من المسلمين، كما قال تعالى: { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥]

المطلب الخامس
الإيمان بالكتب السماوية

(٢٩) أخرجه أبو داود (٢/ ١١٧) رقم ١٦٣٠ في الزكاة، باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى، قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ عُمَرَ بْنِ غَانِمٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ، أَنَّهُ سَمِعَ زِيَادَ بْنَ نُعَيْمٍ الْحَضْرَمِيَّ، أَنَّهُ سَمِعَ زِيَادَ بْنَ الْحَارِثِ الصُّدَائِيَّ،

(٣٠) أخرجه البخاري (٢/ ١٠٥) رقم ١٣٩٩ ـ١٤٠٠ في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ومسلم في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. رقم ٢٠ وأبو داود (٢/ ٩٣) رقم ١٥٥٦ في أول كتاب الزكاة،

(٣١) أخرجه البخاري (١/ ٣٢) كتاب العلم باب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب معلقا قبل الرقم ١٠٤ ومسلم (٣/ ١٣٠٥) رقم ١٦٧٩ كتاب القسامة باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال،

قوله تعالى: (من كتاب) الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية والأنبياء والمرسلين من أهم أسس الدعوة إلى الله تعالى، لأن غير المسلم عندما يعرف أننا نؤمن بالكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى على موسى وداود وعيسى، وأن ذلك من شروط الإيمان عندنا، كما قال تعالى {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ } [البقرة: ٢٨٥] وقال الرسول صلى الله عليه وسلم " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره "(٣٢)

وبعد بيان ذلك نثبت له بالتالي تحريف الضالين لهذه الكتب، وكيف قتلوا الأنبياء، حيث أصبح اليوم من السهل الإتيان بكثير من النسخ الموجودة وبيان الاختلاف الشديد بينها، حتى بين المطبوع حديثا، وأسوأ من ذلك بين النسخ القديمة، فلا توجد نسخة مثل أخرى حتى التي بين أيديهم، فإن العاقل منهم يدرك الخلل فورا، ويؤمن بكتابنا الذي لا تختلف نسخه منذ لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ثبت في النسخ الأصلية التي كتبت بأمر عثمان رضي الله عنه، ووزعت في المدن الإسلامية، ولا تختلف عما يقرؤه الناس منذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا وإلى أبد الآبدين، وأن الله تعالى حفظ القرآن الكريم من التبديل والتحريف والتزوير، كما قال ووعد سبحانه: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: ٩] فلم يستطع أحد أن يزيد فيه حرفا أو ينقص منه، على كثرة ما حاول المزيفون طيلة القرون الماضية، وعلى كثرة ما بذلوا من أموال.

بينما الكتب الأخرى حرفت مبكرا من اليهود الذين سمعوا التوراة كما نسب القرآن الكريم ذلك لمن عاصر موسى وداود وعيسى.

فهذا موسى ينجيهم الله على يديه ولكن ما لبثوا أن عيروا البحر حتى كفروا وطلبوا من نبي الله موسى صراحة أن يجعل لهم آلهة، فنهاهم فاستغلوا غيابه وعبدوا العجل، كما يقص الله علينا من خبرهم الغريب ويقول {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } [الأعراف: ١٣٨] ولكنهم قوم سيطر عليهم الغباء والخبث والكفر.

وهاهم يأمرهم الله تعالى بكلمة واحدة فبدلوها وحرفوا فيها، قال تعالى{وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ *وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } [الأعراف: ١٦١ - ١٦٣]

وقد يقال هؤلاء هم اليهود فماذا فعل النصارى؟ يقال: قد فعلوا أسوأ منهم، لقد كفروا بعيسى عليه السلام وحاولوا قتله، والقسم الآخر جعلوه إلها من دون الله هو وأمه وعبدوهما بالباطل، كما قال تعالى {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ } [المائدة: ١١٦، ١١٧]

فبعد كل هذا التزوير الهائل والتحريف المستمر كيف يوثق بما في أيديهم من الكتب، لا عهدا قديما ولا عهدا جديدا، وهم مستمرون في ذلك إلى الآن ويعترفون بالتضليل، وكل من يطلع على تحريفهم المتعمد يعلن إسلامه، كما نسمع ونرى ذلك ليل نهار، ولذا يطلب الله تعالى منا أن نمضي في دعوتنا، يقول تعالى {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ

(٣٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٦) رقم (٨) في الإيمان: باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان،

هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [المائدة: ٤١] (٣٣)

المبحث الثاني

الأهداف العملية للدعوة الى الله وثمراتها

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: إقامة العدل وهو الهدف الأساسي من الدعوة

المطلب الثاني: إقامة المجتمع الرباني بالاحتكام لله

المطلب الثالث: المسؤلية الفردية على العمل

المطلب الرابع: الاعتماد على الحجج الواضحة لقطع الجدل

المطلب الخامس: التذكير باليوم الآخر والبعث لأنه يوم الجزاء للجميع.

المطلب الأول

إقامة العدل وهو الهدف الأساسي من الدعوة

قوله تعالى:(وأمرت لأعدل بينكم)

الأهداف العملية للدعوة هي البرهان القوي على أن هذا الإسلام جاء ليوحد العالم تحت راية العدل، لا تميز بين قوي وضعيف، ولا فرق بين وضيع وشريف، بشريعة تحافظ على حقوق الناس جميعا، وكل الناس يتساوون جميعا أمام العدالة الإلهية التي هي حق للجميع وواجب على الدولة أن توفرها لهم، قال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ } [النساء: ٥٨]

وقال أيضا: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى } [النحل: ٩٠]

ومظهر العدل يتجلى في إقامة الحدود على كل من يتعدى على أحد في إهلاك نفس أو كسر سن أو جرح بغض النظر عن الفوارق، وفض النزاعات بين المتخاصمين ولو على قرش واحد، قال تعالى: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة: ٤٥]

وأثبت لنا أن العدل هو حياة للبشرية، فقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٨، ١٧٩]

فكل من خالف هذه العدالة فهو ظالم، فيجب أن نقيم العدل بيننا ونقيم الشهادة ولو على أنفسنا.

كما أوجب علينا ربنا، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ} [النساء: ١٣٥]

(٣٣) تفسير السمعاني (٢/ ٢٢) {إِلَّا قَلِيلا مِنْهُم} تفسير الراغب الأصفهاني (٤/ ٣٠١) تفسير الزمخشري (١/ ٦١٦)

وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم كيف نقيم ذلك، كما في قصة الحديث المشهور " وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها "(٣٤) وقد أعلنها عمر رضي الله عنه أمام ملك من ملوك غسان (٣٥)
بل إن الإسلام يأمرنا أن نعدل ولوكان الخصم عدوا أو مكروها أو لا ترضى النفس أن تقر له بالحق، قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ } [المائدة: ٨]
قال المفسرون: والمعنى لا يحملنكم بغض قوم على أن تجوروا عليهم وتجاوزوا الحد فيهم، بل اعدلوا فيهم وإن أساؤوا عليكم، وأحسنوا إليهم وإن بالغوا في إيحاشكم. (٣٦)
ولأن العداوة لا تمنعنا من العدل، جاء من أحكام هذا الدين أنه لا يجوز إيذاء الذمي الذي يعيش بيننا، حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما " (٣٧)
وتأكيدا لكل أنواع العدل نهى الله عن الظلم، لأنه يفسد العلاقات بين الناس ويهدم الدول وينذر بالعواقب الوخيمة داخليا وخارجيا، وما أروع ما جاء في الحديث القدسي " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا" (٣٨)
ونهانا الله تعالى عن ظلم النفس لأنه أرحم من الناس بأنفسهم، وهو أعلم بما يصلحهم، كما قال: {فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} [التوبة: ٣٦] (٣٩)
كما نهانا عن ظلم الغير حتى ولو لم يكن مسلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة" (٤٠)

المطلب الثاني

إقامة المجتمع الرباني بالاحتكام لله

قول الله تعالى في هذه الآية {اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ} يبين أن الربوبية لله، فلا خالق سواه ولا يعبد إلا هو، فالاحتكام إليه وإلى شرعه، ولا راحة للدنيا إلا بذلك، ومهما حاول البشر أن يوجد شيئا يضاهي به أحكام الله يجد نفسه بعد فترة أنه يعود إلى الوراء، وأنه لم يحقق شيئا مما كان يريد، بل يجد أن الأمر انقلب عليه وجنى عكس ما يريد، فقد يخيل إليه أنه بالحرية التي يريدها والتحرر من الدين الذي يقيده أنه فعل الأصلح

---

(٣٤) أخرجه البخاري ٣٤٧٥ في أحاديث الأنبياء: باب رقم ٥٤، و٦٨٨٧ في الحدود: باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع، ومسلم ١٦٨٨ ٨ في الحدود: باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود،
(٣٥) وذلك أن جبلة بن الأيهم وكان من ملوك غسان وكان يطوف بالكعبة فداس رجل على إزاره فلطمه، وكان حديث الإسلام ، فذهب الرجل واشتكى إلى عمر رضي الله عنه فحكم بالقصاص فأبى واستمهل لليوم الثاني وفر بالليل ولجأ إلى الروم واستنصر ثم ندم في آخر عمره وقال شعرا جميلا. شرح المشكاة للطيبي (٢/ ٦٦٢) وعمدة القاري (٢٠/ ١٨٢) والوافي بالوفيات ١١/ ٥٣ ـ ٥٧.
(٣٦) تفسير الرازي (١١/ ٣٢٠) معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٥٦).
(٣٧) أخرجه البخاري (٤/ ٩٩) رقم ٣١٦٦ كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم. وابن ماجه (٢/ ٨٩٦) رقم ٢٦٨٦ كتاب الديات، باب من قتل معاهدا.
(٣٨) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٤) رقم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم.

(٣٩) تفسير السمعاني (٢/ ٣٠٨) غرائب التفسير لتاج القراء (١/ ٤٥٢) تفسير الرازي (١٦/ ٤٣)
(٤٠) أخرجه البخاري (٤/ ٩٨) رقم ٣١٦٢ وتفظه" أوصيكم بذمة الله، فإنه ذمة نبيكم، ورزق عيالكم" كتاب الجزية، باب الوصاة بأهل ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لنفسه، ولكنه لم يعرف أن يضع ضوابط الحرية ولن يعرف فقد أدى ذلك إلى جنوحه عن مسار الحرية، وأصبح في فوضى عارمة لا يستطيع أن ينفذ معها ما يريد، فهي تؤدي إلى حروب مدمرة وفساد أخلاقي لا حدود له باسم الحرية أو التحرر من الأديان، وكل ما يعيشه الإنسان اليوم من فساد فإنه نتيجة خروجه عن الاحتكام إلى الدين الصحيح، فلا بد من الإذعان والاستسلام للتشريع، والاحتكام لأحكامه، بل لا بد من الرضا بأنه الحاكم المشرع الذي يعلم مصالحنا، وأنه إذا حكم بحكم فلا شك أنه لصالح البشرية، وإذا نهى عن أمر فلا شك أنه مضر للبشرية، ولذا يقول الله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥]

وقد ذهب كثير من المفسرين أن المسلم لا يكون مسلما إلا بالتسليم، وألا يجد في نفسه حرجا من ذلك الحكم. (٤١)

وقد نزلت هذه الآيات في رجل من الأنصار حكم عليه رسول الله بحكم فقال كلاما غير لائق، (٤٢)

فكل شيء يجب الاحتكام فيه إلى الشرع والرضا بالحكم، وهذا يعوّد المجتمع الإسلامي أن يفيء دائما إلى أحكام الشرع، في كل حركة من حركاته اليومية، وحتى في مزاحه ولعبه، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعبا ولا جادا، ومن أخذ عصا أخيه فليردها " (٤٣)

وكذلك من مزح وأتلف شيئا فإنه يضمن ما أتلفه، لأن العدالة تقتضي ذلك، وحكم الشرع يقضي بذلك، فعن أنس قال: أهدت بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلى النبي طعاما في قصعة، فضربت عائشة القصعة بيدها فألقت ما فيها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم " طعام بطعام وإناء بإناء " (٤٤)

المطلب الثالث

المسؤلية الفردية على العمل

قوله تعالى:(لنا أعمالنا ولكم أعمالكم)

المسؤلية الفردية مبدأ أرسته الشريعة الإسلامية، وهو مبدأ إلهي منذ الخليقة الأولى، كما قال تعالى: {أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى} [النجم: ٣٦ - ٤١]

وقال: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [الزمر: ٧]

وهذا نبي الله توح لا يملك لابنه شيئا وهو يغرق، ولما سأل ربه انضمام ابنه إليه وقال {رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ* قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ

---

(٤١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٩) اللباب لابن عادل (٦/ ٤٦٩)

(٤٢) (٤١) أخرجه البخاري: كتاب المساقاة، باب سكر الأنهار (٣/ ١١١) رقم ٢٣٥٩ ومسلم في الفضائل باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم (٤/ ١٨٢٩) رقم ٢٣٥٧

(٤٣) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب من يأخذ الشيء على المزاح (٧/ ٣٥١) رقم ٥٠٠٣ وابن أبي شيبة في المسند (٢/ ١٩٧) رقم ٦٨٢ وأحمد (٢٩/ ٤٦٠) رقم ١٧٩٤٠ من طريق: مسند أحمد ط الرسالة (٢٩/ ٤٦٢) قتيبة بن سعيد، حدثنا ابن لهيعة، عن حفص بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عن السائب بن يزيد، عن أبيه ، وإسناده صحيح، رجاله ثقات . والترمذي (٢١٦٠) من طريق يحيى بن سعيد، بهذا الإسناد. وقال: حسن غريب.

(٤٤) أخرجه الترمذي باب ما جاء فيمن يكسر له الشيء ما يحكم له من مال الكاسر (٣/ ٣٣) رقم ١٣٥٩ سنن الترمذي ت بشار (٣/ ٣٣)

حدثنا محمود بن غيلان، قال: حدثنا أبو داود الحفري، عن سفيان الثوري، عن حميد، عن أنس ، وقال:هذا حديث حسن صحيح. وأصله في البخاري كتاب النكاح، باب الغيرة (٧/ ٣٦) رقم ٥٢٢٥،

مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [هود: ٤٥، ٤٧]

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابنته وأهله "لا أغني عنكم شيئا"(٤٥)

فكل إنسان يحمل وزر نفسه، وهو مسؤل عما يفعل، ويحاسب عليه في الدنيا والآخرة، وفي الدنيا يحاسب على الخطأ، الذي هو في حق الآخرين، حتى لا يدعي كل مجرم أنه أخطا، فمن أتلف شيئا فعليه ضمانه، ومن قتل خطأ فعليه الدية، كما قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: ٩٢] وحدد الشرع دية الخطأ بعد الكفارة المذكورة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " في دية الخطأ عشرون حقة، وعشرون جذعة، وعشرون بنت مخاض، وعشرون بنت لبون، وعشرون بني مخاض ذكر"(٤٦)

فمن فعل الخير لا يسأل عن خطأ غيره ولو كان أبا أو ابنا، كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا} [لقمان: ٣٣]

وكذا من عمل الشر لا يحمل عنه أحد قال تعالى:{مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الإسراء: ١٥]

المطلب الرابع

الاعتماد على الحجج الواضحة لقطع الجدل

قوله تعالى:(لا حجة بيننا وبينكم)

مما لاشك فيه أن الداعية سوف يصطدم بالمعارضين المعاندين، والمعاند لا ينفع معه إلا الحجج القوية المفحمة، وهذا لا يكون إلا بإثبات الأدلة على وجود الخالق المبدع، والأدلة واضحة ظاهرة، وهي أن الكون لا بد من خالق ومسير، وهذه هي الحجة التي ساقها نبي الله إبراهيم، كما قص الله تعالى علينا ذلك الحوار بينه وبين النمرود (٤٧) فقال: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: ٢٥٨]

وهي نفس الحجة التي أفحم بها موسى فرعون وقومه فقال تعالى: {قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} [الشعراء: ٢٣ - ٢٨]

والقرآن الكريم مليء بالأدلة على وجود الخالق المبدع، ولا يسع المنكر إنكارها، ولذا قال: لا حجة بيننا وبينكم، إلا هذه الأدلة التي تعرفونها وتفحمكم ولا تستطيعون إنكارها.

---

(٤٥) أخرجه البخاري (٤/ ٦) رقم ٢٧٥٣ في الوصايا: باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب، ومسلم (١/ ١٩٢) رقم ٢٠٦ في الإيمان باب في قوله تعالى {وأنذر عشيرتك الأقربين}

(٤٦) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨٧٨) رقم ٢٦٣٠ من طريق: عبد الله بن عبد الرحمن، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي أويس قال: حدثني كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن زيد بن ملحة، عن أبيه، عن جده، وحسنه البوصيري .

(٤٧) هو النمرود بن كوش كان ملكا ثم ادعى الألوهية في البلاد التي بعث فيها سيدنا إبراهيم عليه السلام. البداية والنهاية لابن كثير (١/ ١٧١)

قال المفسرون كابن عطية وغيره: (لا حجة) أي موجودة بمحاجة أحد منا لصاحبه (بيننا وبينكم) لأن الأمر وصل إلى الانكشاف التام في فائدة بعده للمحاجة فما بقي إلا المجادلة بالسيوف، وإدارة كؤوس الحتوف، لأنا نعلم بإعلام الله لنا في كتابه الذي دلنا إعجازه للخللائق على أنه كلامه، فنحن نسمعه لذلك منه أنا على محض الحق وأنكم على محض الباطل، وقد أعذرنا إليكم وأوصلنا ببراهينه إلى المشاهدة فلم يبق إلا السيف عملاً بفضيلة الشجاعة. (٤٨)

وقالوا: ليس المراد من قوله (لا حجة بيننا وبينكم) تحريم ما يجري مجرى محاجتهم، ويدل عليه وجوه الأول: أن هذا الكلام مذكور في معرض المحاجة، فلو كان المقصود من هذه الآية تحريم المحاجة، لزم كونها محرمة لنفسها وهو متناقض والثاني: أنه لولا الأدلة لما توجه التكليف الثالث: أن الدليل يفيد العلم وذلك لا يمكن تحريمه، بل المرد أن القوم عرفوا بالحجة صدق محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما تركوا تصديقه بغيا وعنادا، فبين تعالى أنه قد حصل الاستغناء عن محاجتهم لأنهم عرفوا بالحجة صدقه فلا حاجة معهم إلى المحاجة البتة، ومما يقوي قولنا: إنه لا يجوز تحريم المحاجة، قوله وجادلهم بالتي هي أحسن [النحل: ١٢٥] وقوله تعالى: ادع إلى سبيل ربك [النحل: ١٢٥] وقوله ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن [العنكبوت: ٤٦] وقوله يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا [هود: ٣٢] وقوله وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه [الأنعام: ٨٣] .

ثم قال تعالى: والذين يحاجون في الله أي يخاصمون في دينه من بعد ما استجيب له أي من بعد ما استجاب الناس لذلك الدين حجتهم داحضة أي باطلة وتلك المخاصمة هي أن اليهود قالوا ألستم تقولون إن الأخذ بالمتفق أولى من الأخذ بالمختلف؟ فنبوة موسى وحقيقة التوراة معلومة بالاتفاق، ونبوة محمد ليست متفقا عليها، فإذا بنيتم كلامكم في هذه الآية على أن الأخذ بالمتفق أولى، وجب أن يكون الأخذ باليهودية أولى، فبين تعالى أن هذه الحجة داحضة، أي باطلة فاسدة. (٤٩)

وقال آخرون: {لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ} أي: بعد ما تبينت الحقائق، واتضح الحق من الباطل، والهدى من الضلال، لم يبق للجدال والمنازعة محل، لأن المقصود من الجدال، إنما هو بيان الحق من الباطل، ليهتدي الراشد، ولتقوم الحجة على الغاوي، وليس المراد بهذا أن أهل الكتاب لا يجادلون، كيف والله يقول: {وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} وإنما المراد ما ذكرنا. (٥٠)

فكل الناس آمنوا على ذلك واستجابوا لهذا القرآن الكريم الذي ما زال يذهل العالم حتى اليوم وإلى أبد الآبدين ويبهرهم بأدلته القاطعة، وخاصة عقلاء الدنيا وفلاسفتهم وعلماء اليهود والنصارى الذين يسلمون ويشهدون بأن هذا الدين دين الحق، وأن رسولنا الذي جاء بالقرآن الكريم صادق، لأن ما يحويه القرآن الكريم من حقائق علمية لا يستطيع أن يقولها بشر، ولا يستوعبها عقل العلماء، ولو بحثوا طول عمرهم ما استطاعوا إلا أن يفهموا جزءا بسيطا من الحقيقة، لأن مفاهيم هذا القرآن الكريم تحار فيها العقول، ولو أننا سألنا كل عاقل دخل الإسلام عن سبب إيمانه نرا آمن لأجل جزئية بسطة أبهرته فأعلن إسلامه، وكل واحد يتكلم عن جزئية أخرى أجبرته على الاعتراف بهذا القرآن الكريم المعجز بأدلته القاطعة وحججه المفحمة، وصدق الله العظيم حيث يقول: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [لقمان: ٢٧] (٥١)

---

(٤٨) نظم الدرر (٦/ ٦١٤) تفسير ابن عطية (٥/ ٣١)
(٤٩) تفسير الرازي (٢٧/ ٥٨٩) اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ١٨٠)
(٥٠) تفسير ابن كثير ١٠٩/٤
(٥١) تفسير الطبري (١٥/ ٧٢) زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٣٤) تفسير البيضاوي (٤/ ٢١٦)

وروي أنه لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه أحبار يهود، فقالوا: يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} [الإسراء: ٨٥] أفعنيتنا أم قومك؟ قال: «كلا قد عنيت» قالوا: فإنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هي في علم الله قليل، وقد آتاكم ما إن عملتم به انتفعتم» فأنزل الله {ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام} إلى قوله {إن الله سميع بصير} [الحج: ٧٥] (٥٢)

المطلب الخامس

التذكير باليوم الآخر والبعث لأنه يوم الجزاء للجميع

هذا الأمر وهو التذكير باليوم الآخر والبعث لأنه يوم الجزاء للجميع هو النتيجة الحتمية لهذه الأصول العشرة للدعوة، لأن نتيجة الإيمان بالله هو الخوف من الوقوف بين يديه للحساب والجزاء، فإذا خاف الإنسان من الله أصبحت أعماله تخضع لميزان الشرع من حلال وحرام وظلم للبشر، وهذا هو المقصود من الحياة الفاضلة التي يعيشها الإنسان، وهو شيء فوق الضمير الذي يتكلم عنه غير المسلمين، لأن الإيمان بالحساب يوم القيامة يخضع لمعايير الشرع المنظمة المؤصلة، والضمير مهما كان سليما فإنه يخضع لمعايير النفس البشرية، والإنسان مجبول على الدفاع عن نفسه، وينشأ الصراع بين حاجة النفس وحاجة الآخرين، وهذا فرق كبير بين الخوف من الله والضمير البشري، فالذي يخاف من الله وينضبط بضوابط الشرع يعلم أن وراء ذلك ثوابا وجزاء وجنة ونعيما، سواء في عمل الخير أوفي إيثار الغير على النفس رجاء الثواب من الله تعالى.

وخوف الله هنا هو التقوى الذي طلبه الله من الأمم على لسان الرسل، منذ رسول الله نوح إلى نبينا ورسولنا محمد عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} [الشعراء: ١٠٥ - ١٠٨]

وهكذا خاطب المرسلون أقوامهم أن يتقوا الله الذي سوف نقف بين يديه جميعا وهو الذي يتولى حسابنا ويزن أعمالنا، وهو الوصية التي أوصانا الله تعالى بقوله: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [البقرة: ٢٨١]

وقد كرر الله تعالى مادة التقوى كثيرا جدا، كما ذكر الخشوع والخشية والخوف من الله تعالى، وكذلك كرر ذكر القيامة والساعة والحشر والبعث والنشور، كما ذكر الموت والثواب والعقاب والجنة والنار، حتى إننا نستطيع أن نقول: لا توجد آية في القرآن الكريم تخلو من هذه الأمور التي تذكرنا بربنا وتقواه وخشيته ورجاءه. (٥٣)

ونبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وصف لنا ذلك كثيرا وبدقة شديدة، ومرات عديدة (٥٤)

---

(٥١) تفسير ابن كثير ٥/ ١١ وتفسير البغوي ٣/ ٥٩١ وتفسير الطبري ١٧/ ٤٥

(٥٣) ينظر ورود مادة التقوى في القرآن بما مجموعه (٢٥٣) مرة:

وقانا ١ فوقاه ١ وقاهم ٣ تق ١ تقيكم ٢ قنا ٣ قهم ٢ قوا ١ يوق ٢ اتقى ٧ واتقو ٢٠ واتقين ١ وتتقوا ١١ وتتقون ٢٠ ويتقي ٦ ويتقه ١ وفليتقوا ١ ويتقون ١٧ ويتقي ١ واتق ٣ واتقوا ٧١ واتقون ٥ واتقوه ٤ واتقين ١ والتقي ٣ والتقوى ١٥ وتقواهم ١ والمتقون ٦ والمتقين ٤٤

وينظر مادة : خشع ١٧ والخشية ٥١ والخوف ٦٢ ويوم القيامة ٧٦ والساعة ٤٨ والحشر ٣٩ والبعث ٤١ والنشور ٦ وهذا بعد حذف الكلمة التي تساق لغير موضوعها.

(٥٤) كما جاء في الصحين :أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب» قالوا: لا، قال: " فإنكم ترونه كذلك، يحشر الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون هذا

الخاتمة
والنتائج والتوصيات

نحمده تعالى على أن وفقنا لإتمام هذا البحث الذي يعتبر مختصرا لكتاب كبير، يكون جامعا لكل أسس الدعوة التي تلزم الداعية وتضع أمامه كل ما يحتاجه من مادة علمية.

ومهما يكن من أمر فإن هذه الأصول العشرة التي جمعها الله تعالى في آية واحدة، وقد جمعت فأوعت، والذي نستنتجه من كل هذا:

أولا: أن الله سبحانه وتعالى لم يرد أن يتعب البشرية بالبحث عن منهج للحياة، فقدم لنا منهج الحياة لنطبقه لا أن نجرب أو نفلسف.

ثانيا: أن الدعوة لها أصول مستمدة من الكتاب والسنة فلا يجوز الاجتهاد على النص، ولا يجوز تجاوز تلك النصوص.

ثالثا: أن صاحب الدعوة يجب أن يكون ملما بهذه الأصول، حتى لا يكون هناك مجال للاجتهاد الشخصي، فقد يقع في الضلال بينما هو يريد الخير، فيجب الاتباع حتى لا يقع المسلم في حبائل الشيطان.

رابعا: بين الله تعالى بداية الدعوة إليه ونهايتها ليرسم لنا المنهج، فلا يجوز الخروج عنه، ولا تجوز المجاملة على حساب المباديء.

خامسا: أن الالتزام بالضوابط الشرعية تقفل باب اتباع الهوى، واتباع الهوى دائما يعطي عكس المراد الذي نتأمله.

مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ " قالوا: نعم، قال: " فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل ثم ينجو، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، أمر الله الملائكة: أن يخرجوا من كان يعبد الله، فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود، فيخرجون من النار، قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار، فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار، قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها، فيقول: هل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك، فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل به على الجنة، رأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: يا رب قدمني عند باب الجنة، فيقول الله له: أليس قد أعطيت العهود والميثاق، أن لا تسأل غير الذي كنت سألت؟ فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك، فيقول: فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك، لا أسأل غير ذلك، فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا بلغ بابها، فرأى زهرتها، وما فيها من النضرة والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول: يا رب أدخلني الجنة، فيقول الله: ويحك يا ابن آدم، ما أغدرك، أليس قد أعطيت العهود والميثاق، أن لا تسأل غير الذي أعطيت؟ فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك، فيضحك الله عز وجل منه، ثم يأذن له في دخول الجنة، فيقول: تمن، فيتمنى حتى إذا انقطع أمنيته، قال الله عز وجل: من كذا وكذا، أقبل يذكره ربه، حتى إذا انتهت به الأماني، قال الله تعالى: لك ذلك ومثله معه " قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة رضي الله عنهما: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " قال الله: لك ذلك وعشرة أمثاله " أخرجه البخاري في الصلاة، باب فضل السجود (١/ ١٦٠) رقم ٨٠٦ ومسلم في الإيمان باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٣) رقم ١٨٢

سادسا: أن كلمة الضمير التي يتحدث الغرب وأتباعهم عنها لتكون بديلا عن الوازع الديني هي للتضليل، والضمير لا يصلح أن يكون مصدرا للثواب والعقاب، ولا مجابها لهوى النفس.
سابعا: أن الإيمان بالحساب والوقوف بين يدي خير ما يقدمه الداعية المسلم للبشرية، لأن البشرية لا تستقيم إلا باعتقاد الرجوع إلى الله.
التوصيات:
أولا: أوصي كل باحث في علوم التفسير أن يتنبه جيدا ويعتقد يقينا أن البحث في القرآن والاستضاءة بنوره يختصر الطريق أمام كل عالم.
ثانيا: أوصي كل باحث أن يتسلح بالعلوم الشرعية كلها وأن يلم بها إلماما جيدا، وخاصة علوم القرآن، حتى لا يجتهد في أمور لا يجوز فيها الاجتهاد.
ثالثا: أوصي كل متخصص يقرأ هذا البحث أن يجعله معينا له في رؤس مسائل الدعوة التي لا بديل عنها، وأن يتوسع في ذلك ويبحث عن المزيد. والله المستعان وعليه التكلان، وصلى الله على نبينا وقائدنا ومعلمنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. والحمد لله رب العالمين.

مختصر البحث

هذا البحث يعتبر نبراسا في علوم الدعوة الإسلامية، وهو مستمد من القرآن الكيم والسنة المطهرة، يضع بين يدي الباحث أصول الدعوة كلها في آية واحدة تضمن عشر أصول لا يستغنى عنها ولا يجوز الأخلال بها. وهذه الأصول العشرة خمسة منها في ركائز الدعوة النظرية وجعلناه خمسة مطالب وهي:
المطلب الأول: وجوب تبليغ الدعوة على الرسول-صلّى الله عليه وسلّم- وعلى المسلمين (فلذلك فادع).
المطلب الثاني: وجوب استقامة الداعي على منهج الله تعالى (واستقم كما أمرت)
المطلب الثالث: عدم اتباع الأهواء الصارفة عن منهج الله (ولا تتبع أهواءهم)
المطلب الرابع: الإيمان بالمنهج المنزل (وقل آمنت بما أنزل الله)
المطلب الخامس: الإيمان بالكتب السماوية (من كتاب)
والقسم الثاني وهو الأهداف العملية للدعوة الى الله وثمراتها
جعلناه في خمسة مطالب:
المطلب الأول: إقامة العدل وهو الهدف الأساسي من الدعوة (وأمرت لأعدل بينكم)
المطلب الثاني: إقامة المجتمع الرباني بالاحتكام لله (الله ربنا وربكم)
المطلب الثالث: المسؤلية الفردية على العمل (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم)
المطلب الرابع: الاعتماد على الحجج الواضحة لقطع الجدل (لا حجة بيننا وبينكم)
المطلب الخامس: التذكير باليوم الآخر والبعث لأنه يوم الجزاء للجميع.
واعتمد هذا البحث على المصادر الأصلية من الكتاب والسنة، وأقوال المفسرين القدامى، وشراح السنة الكبار، وبيان الأدوات اللازمة والضرورية للداعية الإسلامي، بعيدا عن الأهواء والتعصب للآراء المخالفة للشريعة. حتى لا يضيع الجهد وتتشتت السبل اعتداء بقول الله تعالى
{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣]
والله الهادي إلى الصواب وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فهرس المراجع والمصادر

أسس الدعوة الى الله: د محمد امحزون المغرب، ط: مجلة البيان سنة١٤٣٢ هـ
الأموال لابن زنجويه: حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني (المتوفى: ٢٥١هـ) تحقيق الدكتور: شاكر ذيب فياض. ط: مركز الملك فيصل للبحوث ١٤٠٦ هـ -
البحر الزخار = مسند البزار
البحر المحيط في التفسير لأبي حيان: محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل. ط: دار الفكر – بيروت ١٤٢٠ هـ
بصائر دعوية: محمد علي محمد امام، ط: دار الكتب المصرية ٢٠١٣ م.
بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة بانتقاء الهيثمي. تحقيق: د. حسين أحمد صالح.ط: مركز خدمة السنة بالمدينة
البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي: د فريد الأنصاري، ط: دار السلام بمصر ٢٠٠٣ م.
تاريخ الدعوة إلى الإسلام: وحيد الدين خان، ط: مكتبة القاهرة ١٤١٣
تبصير الهداة بفضل الدعوة والدعاة: عبد الله بن صالح القصير بدون بيانات.
التحرير والتنوير لابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ط: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ٢٠٠٠م
ترتيب الأمالي الخميسية للشجري: يحيى المرشد بالله بن الحسين (المتوفى ٤٩٩ هـ) (المتوفى: ٦١٠هـ) تحقيق: محمد حسن إسماعيل. ط: دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١ م
الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين: عمر بن أحمد بن عثمان (المتوفى: ٣٨٥هـ) تحقيق: محمد حسن إسماعيل. ط: دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤ م
تفسير ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (المتوفى: ٣٢٧هـ) المحقق: أسعد محمد الطيب. ط: مكتبة الباز - السعودية ١٤١٩ هـ
تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل. محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: عبد الله الخالدي. ط: شركة دار الأرقم بيروت ١٤١٦ هـ
تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن غالب الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي. ط: دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢٢ هـ
تفسير ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي محمد سلامة. ط: دار طيبة ١٤٢٠هـ -
تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت
تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) الحسين بن مسعود (المتوفى: ٥١٠هـ) تحقيق جماعة. ط: دار طيبة. ١٤١٧ هـ -
تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): عبد الله بن عمر بن محمد (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي . ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت - ١٤١٨ هـ
تفسير الرازي (مفاتيح الغيب): محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (المتوفى: ٦٠٦هـ) ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت - ١٤٢٠ هـ
تفسير الراغب الأصفهاني: تحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني. ط: كلية الآداب - جامعة طنطا، تحقيق:عادل بن علي الشِّدِي. ط: دار الوطن – الرياض ١٤٢٤ هـ -

تفسير الزمخشري (الكشاف): محمود بن عمرو بن أحمد، (المتوفى: ٥٣٨هـ) ط: دار الكتاب العربي بيروت. ١٤٠٧ هـ
تفسير السمرقندي (بحر العلوم): نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي. تحقيق: د. محمود مطرجي. ط: دار الفكر - بيروت
تفسير السمعاني: منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزى (المتوفى: ٤٨٩هـ) المحقق: ياسر بن إبراهيم. ط: دار الوطن، الرياض ١٤١٨هـ
تفسير الطبري (جامع البيان): محمد بن جرير بن يزيد (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط: دار هجر. ١٤٢٢ هـ -
تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني. ط: دار الكتب المصرية ١٩٦٤ م
تفسير الماوردي (النكت والعيون): علي بن محمد بن محمد بن حبيب (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد عبد المقصود. ط: دار الكتب العلمية بيروت.
تفسير عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ) ط: دار الكتب العلمية. تحقيق: د. محمود محمد عبده
تفسير مجاهد: مجاهد بن جبر المكي (المتوفى: ١٠٤هـ) المحقق: محمد عبد السلام. ط: دار الفكر الإسلامي، مصر ١٩٨٩ م
تفسير مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (المتوفى: ١٥٠هـ)
جامع العلوم والحكم: لابن رجب: عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور. ط: دار السلام بمصر ١٤٢٤ هـ
الجهاد لابن أبي عاصم: أحمد بن عمرو بن الضحاك (المتوفى: ٢٨٧هـ) المحقق: مساعد بن سليمان الراشد ط: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ١٤٠٩ه
خصائص الدعوة الإسلامية مصادرها عالميتها شمولها: محمد أمين حسن. ط: دار العلم والثقافة. جامعة ميتشجن ٢٠٠٠ م.
الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي: أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (المتوفى: ٧٥٦هـ) المحقق: أحمد محمد الخراط . ط : دار القلم، دمشق.
الدعوة إلى الله بالمجادلة مفهومها ومشروعيتها وضوابطها. د : إبراهيم بن صالح الحميدان . منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض - الطبعة: الرابعة، ١٤٢٣ هـ .
الرد على من يقول (الم) حرف لابن منده: عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق، ابن مندة العبدي الأصبهاني، (المتوفى: ٤٧٠هـ) تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع.ط: دار العاصمة – الرياض١٤٠٩ هـ
زاد المسير للجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي. ط: دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٢٢ هـ
الزهد لابن المبارك: عبد الله بن المبارك (المتوفى: ١٨١هـ) المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت.
السنة للمروزي: محمد بن نصر بن الحجاج المتوفى: ٢٩٤هـ تحقيق: سالم أحمد السلفي، ط: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ١٤٠٨

سنن ابن ماجة :محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط: دار الرسالة ٢٠٠٩ م
سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت
سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط: مصطفى الحلبي – مصر ١٩٧٥ م
سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام (المتوفى: ٢٥٥هـ) المحقق: نبيل هاشم الغمري. ط: دار البشائر (بيروت) الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م
السنن الكبرى للبيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا. ط: دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣ م
السنن الكبرى للنسائي أحمد بن شعيب بن علي (المتوفى: ٣٠٣هـ) تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي: مؤسسة الرسالة – بيروت - ٢٠٠١ م
سنن النسائي (المجتبى) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط: مكتب المطبوعات الإسلامي.
سنن سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني (المتوفى: ٢٢٧هـ) المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي. الناشر: الدار السلفية – الهند، ١٤٠٣هـ -
شرح السنة للبغوي: الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (المتوفى: ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط- ط: المكتب الإسلامي - دمشق، ١٤٠٣هـ -
شرح القسطلاني (إرشاد الساري): أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك (المتوفى: ٩٢٣هـ) ط: المطبعة الأميرية، مصر ١٣٢٣ هـ
شرح المشكاة للطيبي: شرف الدين الحسين بن عبد الله (٧٤٣هـ) = الكاشف عن حقائق السنن. تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي. ط: مكتبة الباز (الرياض)
شرح صحيح البخارى لابن بطال: علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم. ط: مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٢٣هـ
شرح معاني الآثار للطحاوي: أحمد بن محمد بن سلامة المصري (المتوفى: ٣٢١هـ) تحقيق: محمد زهري النجار - ط: عالم الكتب بيروت ١٩٩٤ م
الشريعة للآجري: محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرّيُّ (المتوفى: ٣٦٠هـ) تحقيق: عبد الله بن عمر بن سليمان، ط: دار الوطن - الرياض ١٤٢٠ هـ -
شعب الإيمان للبيهقي: أحمد بن الحسين بن علي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه: عبد العلي عبد الحميد حامد. ط: مكتبة الرشد بالرياض. ١٤٢٣ هـ -
صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان (المتوفى: ٧٣٩ هـ) حققه: شعيب الأرنؤوط. ط: مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٨ م
صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة (المتوفى: ٣١١هـ) تحقيق: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي. ط: المكتب الإسلامي - ٢٠٠٣ م
صحيح البخاري. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا. ط: دار ابن كثير– بيروت ١٩٨٧
صحيح مسلم بن الحجاج القشيري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت

عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني: محمود بن أحمد بن موسى (المتوفى: ٨٥٥هـ) تصوير: دار الكتب العلمية ببيروت ١٩٧١
عون المعبود وحاشية ابن القيم. تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان
غرائب التفسير وعجائب التأويل لتاج القراء: محمود بن حمزة بن نصر، (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) ط: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة،
فتح القدير للشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ط: دار ابن كثير، بيروت ١٤١٤ هـ
الكاشف عن حقائق السنن = شرح المشكاة للطيبي
اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، ط: دار الكتب العلمية - بيروت -١٩٩٨م
مجمع الزوائد للهيثمى: نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (المتوفى: ٨٠٧هـ) تحقيق: حسين سليم أسد. ط: دَارُ المَأْمُون لِلتُّرَاث ١٤١١ هـ
مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري: علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملا الهروي (المتوفى: ١٠١٤هـ)
المستدرك للحاكم: محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط: دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠
مسند ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: عادل بن يوسف العزازي. ط: دار الوطن – الرياض ، ١٩٩٧م
مسند أبي يعلى الموصلي: أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى (المتوفى: ٣٠٧هـ) المحقق: حسين سليم أسد. ط: دار المأمون للتراث – دمشق- ١٩٨٤
مسند أحمد بن حنبل (المتوفى ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط. ط: مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ -
مسند إسحاق بن راهويه المتوفى: ٢٣٨ هـ. المحقق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي. ط: مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، ١٩٩١ م
مسند البزار (البحر الزخار) أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (المتوفى: ٢٩٢هـ) تحقيق مجموعة. ط: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة. الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)
مسند الحارث = بغية الباحث بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث
مسند الحميدي: عبد الله بن الزبير بن عيسى (المتوفى: ٢١٩هـ) تحقيق: حسن سليم أسد، ط: دار السقا، دمشق ١٩٩٦ م
مسند الشاميين للطبراني. المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠٥ -
مسند الطيالسى: سليمان بن داود بن الجارود (المتوفى: ٢٠٤هـ) ط: دار هجر ١٩٩٩ م .
مصنف ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت ط: مكتبة الرشد – الرياض ١٤٠٩
مصنف عبد الرزاق بن همام (المتوفى: ٢١١هـ) المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط : المجلس العلمي- الهند ١٤٠٣
معاني القرآن وإعرابه للزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل (المتوفى: ٣١١هـ) المحقق: عبد الجليل عبده شلبي. ط: عالم الكتب بيروت ١٩٨٨ م
المعجم الأوسط للطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب. تحقيق: مجموعة. ط: دار الحرمين القاهرة ١٩٩٥ م.

المعجم الصغير للطبراني، المحقق: محمد شكور محمود. ط: المكتب الإسلامي، دار عمار – بيروت ١٩٨٥
المعجم الكبير للطبراني. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط: مكتبة ابن تيمية – القاهرة ١٤١٥ هـ -
المعجم لابن الأعرابي: أحمد بن محمد بن زياد (المتوفى: ٣٤٠هـ) تحقيق: عبد المحسن إبراهيم أحمد، ط: دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤١٨ هـ -
نظم الدرر في تناسب الآي والسور، للبقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن (المتوفى: ٨٨٥هـ) تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥
الهداية الى بلوغ النهاية للقيرواني: مكي بن أبي طالب الأندلسي (المتوفى: ٤٣٧هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي.ط : كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - ٢٠٠٨ م
الوافي بالوفيات للصفدي: خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط.

الهوامش

(١) الحديث أخرجه سعيد بن منصور في التفسير من السنن (١/ ٤٣) رقم ٧ ابن ابي شيبة ٣٠٠٠٧ وأحمد ٧٠٤ والدارمي (٤/ ٢٠٩٨) رقم ٣٣٧٤ والترمذي (٥/ ٢٢)٢٩٠٦ والبزار = البحر الزخار (٣/ ٧١) رقم ٨٣٦ وابن منده في الرد على من يقول (الم) حرف رقم (١١) وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال (ص: ٦٩) رقم ٢٠٢ والحاكم في المستدرك (١/ ٧٤١) رقم ٢٠٤٠

(٢) أخرجه أحمد (١٥٩/٢ ، رقم ٦٤٨٦) والدارمى (١٤٥/١ ، رقم ٥٤٢)، والبخارى (١٢٧٥/٣ ، رقم ٣٢٧٤) ، والترمذى (٤٠/٥ ، رقم ٢٦٦٩) وابن حبان (١٤٩/١٤ ، رقم ٦٢٥٦) .

(٣) أخرجه أحمد (٤٣٦/١ ، رقم ٤١٥٧) والدارمي (٨٦/١ ، رقم ٢٢٩) وأبو داود (٣٢٢/٣ ، رقم ٣٦٦٠) ، والترمذي (٣٤/٥ ، رقم ٢٦٥٦ و ٢٦٥٧) وقال : حسن صحيح، والنسائى (٤٣١/٣ ، رقم ٥٨٤٧) وابن حبان (٢٦٨/١ ، رقم ٦٦) والبزار (٣٨٢/٥ ، رقم ٢٠١٤) وابن حبان (٤٥٤/٢ ، رقم ٦٨٠) وأبو يعلى (٤٠٨/١٣ ، رقم ٧٤١٣) والطبراني (١٢٦/٢ ، رقم ١٥٤١) ، والحاكم (١٦٢/١ ، رقم ٢٩٤)

(٤) ينظر على سبيل المثال

الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة: حمد بن حامد آل عثمان الغامدي

الدعوة إلى الله بالمجادلة مفهومها ومشروعيتها وضوابطها. د : إبراهيم بن صالح الحميدان

فقه الدعوة في صحيح البخاري: سعيد بن علي بن وهب القحطاني

الدعوة للغزالي

الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها احمد عمر هاشم

بصائر دعوية محمد علي محمد امام

تبصير الهداة بشأن الدعوة والدعاة عبد الله بن صالح القصير

الدعوة الإسلامية طرق الخلاص د صادق امين

الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية د صادق امين

الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها أحمد أحمد غلوش

الدعوة الإسلامية واعداد الدعاة : محمد بن ناصر العبودي

خصائص الدعوة الإسلامية مصادرها عالميتها شمولها: محمد امين حسن

تاريخ الدعوة الإسلامية : وحيد الدين خان

الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة: محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي

معالم أصول الدعوة د محمد يسري

أسس الدعوة الى الله د محمد امحزون المغرب

البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي د فريد الأنصاري

الدعوة السلفية: محمود عبد الحميد العسقلاني

الدعوة.. ووسائل الاتصال الحديثة : د. جعفر شيخ ادريس رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة

الدعوة الفردية وأهميتها في تربية الأجيال: عقيل بن محمد بن زيد المقطري

الدعوة إلى الله فضلها وثمراتها : صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله،

وهذه الكتب تعبر عن اتجاهات وتيارات متعددة، وتصب في حقل الدعوة

(٥) تفسير ابن كثير ١٠٩/٤ نظم الدرر (٦/ ٦١٢)

(٦) تفسير الرازي (٢٧/ ٥٧٥)

(٧) تفسير القرطبي (١٦/ ١) تفسير ابن كثير (١٢/ ٩٩٢) اتفسير ابن جزي (٢/ ٢٤٤) البحر المحيط في التفسير (٩/ ٣٢٢) تفسير السعدي (ص: ٧٥٣)

(٨) تفسير ابن كثير ١٠٩/٤ نظم الدرر (٦/ ٦١٢) واللفظ للبقاعي

(٩) أخرجه البخارى (٨/ ١٠١) رقم ٦٤٨٢ كتاب الرقاق باب الانتهاء عن المعاصي، ومسلم (١٧٨٨/٤ ، رقم ٢٢٨٣) كتاب الفضائل باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته. وأبو يعلى (١٣/ ٢٩٤) رقم ٧٣١٠ عن أبي موسى.

(١٠) البخاري (٦/ ١١١) رقم ٤٧٧٠ كتاب التفسير باب {وأنذر عشيرتك الأقربين} ومسلم (١/ ١٩٣) رقم ٢٠٧ كتاب الإيمان باب في قوله تعالى {وأنذر عشيرتك الأقربين} والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٢٧) رقم١١٣٦٢ وينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٨١) وتفسير الطبري (١٩/ ٤٠٦)

(١١) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٢٧) تفسير البغوي (٢/ ٨٥)

(١٢) تفسير مجاهد (ص: ٣٧٧) تفسير عبد الرزاق (٢/ ١٧٠) تفسير الطبري (١٤/ ٢٥٦)

(١٣) أخرجه أحمد (١٥٩/٢ ، رقم ٦٤٨٦) ، والبخارى (١٢٧٥/٣ ، رقم ٣٢٧٤) كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، والترمذى (٤٠/٥ ، رقم ٢٦٦٩) كتاب العلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل، وابن حبان (١٤٩/١٤ رقم ٦٢٥٦) . وأخرجه أيضًا : عبد الرزاق (٦/ ١٠٩) رقم ١٠١٥٧ والدارمي (١٤٥/١ ، رقم ٥٤٢)

(١٤) أخرجه الطيالسي (١/ ٥٠٥) رقم ٦١٨ وابن أبي شيبة في المسند (١/ ٢٠٠) رقم ٢٩٦ وأحمد (٧/ ٢٢١) رقم ٤١٥٧ وأبو داود (٥/ ٥٠١) رقم ٣٦٦٠ : كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، والترمذي (٤/ ٣٣٠) رقم ٢٦٥٦ في العلم: باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، وأخرجه ابن ماجة (١/ ١٥٦) رقم ٢٣٠ في المقدمة: باب من بلغ علماً، وابن حبان (١/ ٢٦٨) رقم ٦٦

(١٥) تفسير الطبري (١٤/ ٤٠٠) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٠٠) تفسير الرازي (٢٠/ ٢٨٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٦)

(١٦) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٩) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٦)

(١٧) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٧٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٢) تفسير أبي السعود (٤/ ٣١٠)

(١٨) أخرجه البخاري (٢/ ٥٠) رقم ١١٣٠ كتاب الصلاة، باب: قيام النبي صلى الله عليه وسلم الليل حتى ترم قدماه. ومسلم (٤/ ٢١٧١) رقم ٢٨١٩ في صفات المنافقين وأحكامهم باب إكثار الأعمال والاجتهاد. والطيالسي (٢/ ٧١) رقم ٧٢٨ وابن المبارك في الزهد والرقائق (١/ ٣٥) رقم ١٠٧ والحميدي (٢/ ٢٣) رقم ٧٧٧ وابن أبي شيبة (٧/ ٨١) رقم ٣٤٣٤٨ وعبد الرزاق (٣/ ٥٠) رقم ٤٧٤٦ وأحمد (٣٠/ ١٣٨) رقم ١٨١٩٨

(١٩) تفسير الماوردي (٥/ ١٧٩) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٥١) تفسير البغوي (٧/ ١٧٢)

***وما يروى هنا في هذه الآية من أن النبي صلى الله عليه وسلم عناها بقوله " شيبتني هود وأخواتها " لم يثبت مرفوعا، وإنما روى ذلك البيهقي في الشعب ٢٢١٥ عن أبي علي السري أنه قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ رُوِيَ عَنْكَ أَنَّكَ قُلْتَ: " شَيَّبَتْنِي هُودٌ " قَالَ: " نَعَمْ " فَقُلْتُ: مَا الَّذِي شَيَّبَكَ مِنْهُ قَصَصُ الْأَنْبِيَاءِ وَهَلَاكُ الْأُمَمِ؟ قَالَ: " لَا، وَلَكِنْ قَوْلُهُ {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} [هود: ١١٢] " وروي أيضا في جامع العلوم والحكم (٢/ ٦٠٦) عن الحسن، قال: لما نزلت هذه الآية شَمَّرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فما رؤي ضاحكاً. وعزاه لابن أبي حاتم.

ولكن المرفوع عَنْ أَنَسٍ، عَنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: أَسْرَعَ إِلَيْكَ الشَّيْبُ؟! قَالَ: "شَيَّبَتْنِي هود وأخواتها من المُفَصَّل" أخرجه هكذا سعيد بن منصور في التفسير من سننه (٥/ ٣٧٠) رقم ١١٠٩

وأخرجه الترمذي (٥/ ٢٥٥) رقم ٣٢٩٧ في كتاب التفسير، تفسير سورة الواقعة. عن ابن عباس، قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت، قال: شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت. وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني

وكذا أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٥٢) رقم ٣٠٢٦٨ والطبرانى (٢٨٦/١٧ رقم ٧٩٠) والبزار = البحر الزخار (١/ ١٦٩) رقم ٩٢ وأبو يعلى (١٨٤/٢ رقم ٨٨٠) والطبراني (١٢٣/٢٢ رقم ٣١٨) وقال الهيثمي (٣٧/٧) : رجاله رجال الصحيح . والحاكم (٣٧٤/٢ رقم ٣٣١٤) وقال : صحيح على شرط البخاري.

وينظر: وزاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٠٤) تفسير ابن كثير ت سلامة (٤/ ٣٥٤) وتفسير الرازي (١٨/ ٤٠٦) والهداية الى بلوغ النهاية (٥/ ٣٤٧٧) وتفسير ابن عطية (٥/ ٣٠)

(٢٠) أخرجه البخاري (٢٧٣١) و (٢٧٣٢) في الشروط: باب الشروط في الجهاد ٣٩٢٦ و (١٦٩٤) و (١٦٩٥) في الحج: باب من أشعر وقلد بذي الحليفة ثم أحرم، وأبو داود (٢٧٦٥) في الجهاد: باب صلح العدو، و(٤٦٥٥) في السنة: باب في الخلفاء، ومسلم مختصرا (٣/ ١٤١٠) رقم١٧٨٣ كتاب الإمارة باب صلح الحديبية، والنسائي (٥/ ١٦٩) رقم٢٧٧١ كتاب الحج، باب إشعار الهدي. مختصر أيضا. وابن أبي شيبة (٧/ ٣٨٣) رقم ٣٦٨٤٠ وعبد الرزاق (٥/ ٣٣٠) رقم ٩٧٢٠ وأحمد (٣١/ ٢١٢) رقم ١٨٩١٠

(٢١) أخرجه أحمد (٧/ ١٧) رقم ٣٩٠١ و ابن أبي شيبة في المسند (١/ ٢٦٦) رقم ٣٩٩ والحارث في المسند (بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث) (٢/ ٦٩٧) رقم ٦٨٢ و السنن الكبرى للنسائي (٨/ ١٠٩) رقم ٨٧٥٦ و البزار في المسند (البحر الزخار) (٥/ ٢١٠) رقم ١٨١٣ و ابن حبان في صحيحه (١١/ ٣٥) رقم ٤٧٣٣ وأبو يعلى (٩/ ٢٤٢) رقم ٥٣٥٩ والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٣) رقم٤٢٩٩ وصححه وأقره الذهبي ٤٢٩٩ .

(٢٢) أخرجه أحمد (٢٤/ ١٤٣) رقم ١٥٤١٨ ومسلم١/ ٦٥ رقم ٦٢ في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإيمان ، والترمذي (٤/ ١٨٥) رقم ٢٤١٠ كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان وابن ماجه (٥/ ١١٥) رقم ٣٩٧٢ كتاب تعبير الرؤيا، باب كف اللسان في الفتنة. والدارمي (ص: ٦٥١) رقم ٢٩١٥ والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٦٩) رقم ٦٣٩٦

(٢٣) السنة للمروزي (ص: ١٣) رقم ٢٨

(٢٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم (١٩٩٤/٤ ، رقم ٢٥٧٧) ، وابن حبان (٣٨٥/٢ ، رقم ٦١٩) ، والحاكم (٢٦٩/٤ ، رقم ٧٦٠٦)

(٢٥) أخرجه الطيالسى (ص ١٣٤، رقم ٩٩٦) وأحمد (٢٧٦/٥ رقم ٢٢٤٣٢) ، وابن ماجه (١٠١/١ ، رقم ٢٧٧) ، والدارمي (١٧٤/١ ، رقم ٦٥٥) ، قال البوصيري (٤١/١) : هذا الحديث رجاله ثقات أثبات ، إلا أنه منقطع بين سالم وثوبان ، فإنه لم يسمع منه بلا خلاف ، لكن له طرق أخرى متصلة . وابن حبان (٣١١/٣ رقم ١٠٣٧) والطبرانى في الكبير (١٠١/٢ رقم ١٤٤٤) ، وفى الصغير (٢٧/١ ، رقم ٨) وفى الشاميين (٢٧٧/٢ ، رقم ١٣٣٥) والحاكم (٢٢٠/١ رقم ٤٤٧) والحاكم (٢٢٢/١ ، رقم ٤٥٠)

ومعنى: ولن تحصوا، أي لن تحصو الأعمال كاملة ولكن سددوا وقاربوا، كما في رواية ابن حبان " سددوا وقاربوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن"

أخرجه ابن حبان (٣١١/٣، رقم ١٠٣٧) وهذا المعنى قاله الكلاباذي في بحر الفوائد (ص: ٩٨) قال: لن تطيقوا أي لا تستطيعوا أن تستقيموا، ومعناه لا تستطيعون بحولكم وقوتكم، ولا باجتهادكم واستطاعتكم، بل لن تطيقوه، وأحرى أن لا تطيقوه، وإن بذلتم مجهودكم، وشرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠/ ٤١٩) في شرح حديث "إن لله مئة اسم"

(٢٦) تفسير السمرقندي (١/ ١٤٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٨٩) تفسير البغوي (١/ ٢٤٦) واستدلوا على الوجوب بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق" أخرجه مسلم: ٣ / ١٥١٧ رقم (١٩١٠) في الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز

ولم يحدث نفسه بالغزو . وأبو داود (٣/ ١٠) رقم ٢٥٠٢ كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو. والنسائي (٦/ ٨) رقم ٣٠٩٧ كتاب الجهاد، باب التشديد في ترك الجهاد. وأحمد (٣٧٤/٢ رقم ٨٨٥٢) وقال ابن عاشور في: التحرير والتنوير (٢/ ٣٢١) ومعلوم أن كراهية الطبع لا تنافي تلقي التكليف به برضا لأن أكثر التكليف لا يخلو عن مشقة. ثم إن كانت الآية خبرا عن تشريع مضى يحتمل أن تكون جملة (وهو كره) حكاية لحالة مضت وتلك في أيام قلة المسلمين فكان إيجاب القتال ثقيلا عليهم،

(٢٧) أخرجه أحمد (٢٨/ ٤١٩) رقم ١٧١٨٢ ورجاله ثقات عن المقدام بن معدي كرب الكندي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن للشهيد عند الله عز وجل - قال الحكم: ست خصال - أن يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانا من أقاربه " وأخرجه ابن المبارك الزهد والرقائق (١/ ٥٥٠) رقم ١٥٧٧ وسعيد بن منصور في السنن (٢/ ٢٥٨) رقم ٢٥٦٢ وعبد الرزاق (٢٦٥/٥ ، رقم ٩٥٥٩) والترمذي (٣/ ٢٣٩) رقم ١٦٦٣، كتاب الجهاد باب في ثواب الشهيد ، وقال: صحيح غريب، وابن ماجه (٢٧٩٩) كتاب الجهاد ، باب فضل الشهادة في سبيل الله. وابن أبي عاصم في الجهاد (٢٠٤) ، والطبراني في الكبير ٢٠/ (٦٢٩) ، وفي الشاميين (١١٢٠) والآجري في الشريعة (٣/ ١٢٤٣) رقم ٨١١ ، وأبو يعلى (٥٣٢/٢ ، رقم ١٤٠٤) .

(٢٨) أخرجه أبو داود (٢/ ١١٧) رقم ١٦٣٠ في الزكاة، باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى، وابن زنجويه في الأموال (٣/ ١١٠٠) رقم ٢٠٤١ والحارث = بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (٢/ ٦٢٦) رقم ٥٩٨ والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢/ ١٧) رقم ٣٠١١ وابن الأعرابي في المعجم (٣/ ١١١٥) رقم ٢٤٠٦ والطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٢٦٢) رقم ٥٢٨٥

(٢٩) أخرجه البخاري (٢/ ١٠٥) رقم ١٣٩٩ -١٤٠٠ في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ومسلم في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. رقم ٢٠ وأبو داود (٢/ ٩٣) رقم ١٥٥٦ في أول كتاب الزكاة، والترمذي (٤/ ٢٩٩) رقم ٢٦٠٧ في الإيمان: باب ما جاء أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إله إلا الله، والنسائي (٥/ ١٤) رقم ٢٤٤٣ في الزكاة: باب مانع الزكاة، و٧٧/٧ في تحريم الدم، وابن منده في الإيمان ٢٤، وابن حبان (١/ ٤٥١) رقم ٢١٧

(٣٠) أخرجه أحمد (٣٨/ ٤٧٤) رقم ٢٣٤٨٩ والحارث = بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (١/ ١٩٣) رقم ٥١ والطبراني في الكبير (١٨/ ١٢) رقم ١٦ والأوسط (٥/ ٨٦) رقم ٤٧٤٩ وقال الهيثمى (٨٤/٨) رواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه ورجال البزار رجال الصحيح .

وفي رواية عن عمرو بن الأحوص أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال: "أي يوم أحرم، أي يوم أحرم، أي يوم أحرم؟ " قال: فقال الناس: يوم الحج الأكبر يا رسول الله، قال: "فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، ألا لا يجني جان إلا على نفسه، ولا يجني والد على ولده، ولا ولد على والده، ألا إن المسلم أخو المسلم، فليس يحل لمسلم من أخيه شيء إلا ما أحل من نفسه، ألا وإن كل ربا في الجاهلية موضوع، لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون غير ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله، ألا وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وأول دم وضع من دم الجاهلية دم الحارث بن عبد المطلب، كان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل، ألا واستوصوا بالنساء خيرا، فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير

ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضربا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، ألا وإن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا، فأما حقكم على نسائكم، فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن"

وبنحوه البخاري (٣/ ١٢٨) رقم ٢٤٤٢ كتاب المساقاة، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ومسلم (٤/ ١٩٨٦) رقم (٢٥٦٤) في البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم رقم ٢٥٨٠. وأبو داود (٢٧٣/٤ رقم ٤٨٩٣) كتاب الآداب، باب في الستر على المسلم ، والترمذى (٣٤/٤ ، رقم ١٤٢٦) في كتاب الحدود، باب ما جاء في الستر على المسلم، وأخرجه أحمد أيضا (٩١/٢ ، رقم ٥٦٤٦) ،

(٣١) أخرجه مسلم (١/ ٣٦) رقم (٨) في الإيمان: باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، وأبو داود سنن أبي داود (٤/ ٢٢٣) رقم ٤٦٩٥ في السنة: باب في القدر، والترمذي (٥/ ٦) رقم ٢٦١٠ في الإيمان: باب ما جاء في وصف جبريل للنبي الإسلامَ والإيمان، والنسائي ٩٧/٨ في الإيمان، باب نعت الإسلام (٨/ ٩٧) رقم ٤٩٩٠ وابن ماجة (١/ ٢٤) رقم ٦٣ في المقدمة: باب في الإيمان، وأحمد (١/ ٤٣٤) رقم ٣٦٧ وابن حبان (٣٩٧/١ ، رقم ١٧٣) ،

(٣٢) تفسير السمعاني (٢/ ٢٢) {إِلَّا قَلِيلا مِنْهُم} تفسير الراغب الأصفهاني (٤/ ٣٠١) تفسير الزمخشري (١/ ٦١٦) تفسير القرطبي (٦/ ١١٦)

وقال الرازي (١١/ ٣٢٥) فاعف عنهم واصفح وفيه قولان: الأول: أنه منسوخ بآية السيف، وذلك لأنه/ عفو وصفح عن الكفار، ولا شك أنه منسوخ بآية السيف.

والقول الثاني: أنه غير منسوخ وعلى هذا القول ففي الآية وجهان: أحدهما: المعنى فاعف عن مذنبهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم، والثاني: أنا إذا حملنا القليل على الكفار منهم الذين بقوا على الكفر فسرنا هذه الآية بأن المراد منها أمر الله رسوله بأن يعفو عنهم ويصفح عن صغائر زلاتهم ما داموا باقين على العهد، وهو قول أبي مسلم.

وذكر البقاعي في نظم الدرر (٦/ ٢٣٤) رأيا ثالثا عن المفسرين والمحدثين والفقهاء، أن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عن اليهودية التي أهدته شاة مسمومة، كما في صحيح البخاري (٣/ ١٦٣) رقم ٢٦١٧ كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها فقيل: ألا نقتلها، قال: «لا»، فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو عند مسلم في السلام باب السم (٤/ ١٧٢١) رقم (٢١٩٠) وأبي داود (٤/ ١٧٣) رقم ٤٥٠٩ وأخرجه أحمد (٥/ ٦) رقم ٢٧٨٤ و (٥/ ٤٧٨) رقم ٣٥٤٧ بسند صحيح في الموضعين أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة فأرسل إليها فقال: " ما حملك على ما صنعت " قالت: أحببت - أو أردت - إن كنت نبيا فإن الله سيطلعك عليه، وإن لم تكن نبيا أريح الناس منك. قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وجد من ذلك شيئا احتجم "، قال: " فسافر مرة، فلما أحرم، وجد من ذلك شيئا، فاحتجم .

(٣٣)أخرجه البخاري ٣٤٧٥ في أحاديث الأنبياء: باب رقم ٥٤، و٦٨٨٧ في الحدود: باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع، و٦٧٨٨ باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رُفع إلى السلطان، ومسلم ١٦٨٨ ٨ في الحدود: باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة والحدود، وأبو داود ٤٣٧٣ في الحدود: باب

في الحد يشفع فيه، والترمذي (٣/ ٨٩) رقم ١٤٣٠ في الحدود: باب ما جاء في كريهة أن يشفع في الحدود، والنسائي ٨/٧٣-٧٤ رقم ٧٣٤٥ في قطع السارق: باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر الزهري في المخزومية التي سرقت، وابن ماجة ٢٥٤٧ في الحدود: باب الشفاعة في الحدود، وأحمد (١٦٢/٦ ، رقم ٢٥٣٣٦) والدارمي (٣/ ١٤٨٢) رقم ٢٣٤٨ وابن حبان (١٠/ ٢٤٨) رقم ٤٤٠٢

(٣٤) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٢/ ٦٦٢) ترتيب الأمالي الخميسية للشجري (٢/ ١٤) رقم ١٤١٨ وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٠/ ١٨٢) والوافي بالوفيات ١١/ ٥٣ - ٥٧. التعيين في شرح الأربعين (١/ ١٣٩)

(٣٥) تفسير الرازي (١١/ ٣٢٠) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٥٦) تفسير البغوي - إحياء التراث (٢/ ٢٨) وقال القرطبي (٦/ ١٠٩) (ولا يجرمنكم شنآن قوم) على ترك العدل وإيثار العدوان على الحق. وفي هذا دليل على نفوذ حكم العدو على عدوه في الله تعالى ونفوذ شهادته عليه، لأنه أمر بالعدل وإن أبغضه، ولو كان حكمه عليه وشهادته لا تجوز فيه مع البغض له لما كان لأمره بالعدل فيه وجه.

(٣٦) صحيح البخاري (٤/ ٩٩) رقم ٣١٦٦ كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم. سنن ابن ماجه (٢/ ٨٩٦) رقم ٢٦٨٦ كتاب الديات، باب من قتل معاهدا.

(٣٧) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٤) رقم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم. والبخاري في الأدب المفرد (ص: ١٧٢) رقم ٤٩٠ وابن حبان (٣٨٥/٢، رقم ٦١٩)

(٣٨) تفسير السمعاني (٢/ ٣٠٨) غرائب التفسير وعجائب التأويل لتاج القراء (١/ ٤٥٢) تفسير الرازي (١٦/ ٤٣)

(٣٩) أخرجه أبو داود (٤/ ٦٥٨) رقم ٣٠٥٢ كتاب الخراج، باب تعشير أهل الذمة، وابن زنجويه في الأموال (١/ ٣٧٩) رقم ٦٢١ ولفظ البخاري (٤/ ٩٨) رقم ٣١٦٢ " أوصيكم بذمة الله، فإنه ذمة نبيكم، ورزق عيالكم" كتاب الجزية، باب الوصاة بأهل ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٤٠) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٩) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (٦/ ٤٦٩) تفسير المنار (٥/ ١٩١)

(٤١) أخرجه البخاري: كتاب المساقاة، باب سكر الأنهار (٣/ ١١١) رقم ٢٣٥٩ ومسلم في الفضائل باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم (٤/ ١٨٢٩) رقم ٢٣٥٧ وأبو داود في الأقضية: باب أبواب من القضاء، (٣/ ٣١٥) رقم ٣٦٣٧ والترمذي في الأحكام: باب ما جاء في الرجلين يكون أحدهما أسفل من الآخر في الماء (٣/ ٣٧) رقم ١٣٦٣ والنسائي في القضاة: باب إشارة الحاكم بالرفق، ٨/٢٤٥ رقم ٥٤١٦ وابن ماجة في المقدمة: باب تعظيم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، (١/ ٧) رقم ١٥ وأحمد (٢٦/ ٤٠) رقم ١٦١١٦

(٤٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب من يأخذ الشيء على المزاح (٧/ ٣٥١) رقم ٥٠٠٣ وابن أبي شيبة في المسند (٢/ ١٩٧) رقم ٦٨٢ وأحمد (٢٩/ ٤٦٠) رقم ١٧٩٤٠ وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥/ ٣٢٥) رقم ٢٨٦٧ والطبراني قي المعجم الكبير (٢٢/ ٢٤١) رقم ٦٣٠ لأن فيه ترويع المسلم وهو غير جائز وقد قال صلى الله عليه وسلم "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُرَوِّعَنَّ مُسْلِمًا" أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٩٩) رقم ٦٤٨٧

(٤٣) أخرجه الترمذي باب ما جاء فيمن يكسر له الشيء ما يحكم له من مال الكاسر (٣/ ٣٣) رقم ١٣٥٩ هذا حديث حسن صحيح. وأحمد (١٩/ ٨٤) رقم ١٢٠٢٧ وأصله في البخاري كتاب النكاح، باب الغيرة (٧/ ٣٦) رقم ٥٢٢٥، عن أنس، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: «غارت أمكم» ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت.

(٤٤) أخرجه البخاري (٤/ ٦) رقم ٢٧٥٣ في الوصايا: باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب، ومسلم (١/ ١٩٢) رقم ٢٠٦ في الإيمان باب في قوله تعالى {وأنذر عشيرتك الأقربين} والنسائي (٦/ ٢٤٩) رقم ٣٦٤٦ كتاب الوصايا، باب: إذا أوصى لعشيرته الأقربين، وابن حبان (٢/ ٤١٣) رقم ٦٥٤٩

(٤٥) أخرجه أبو داود (٦/ ٦٠٣) رقم ٤٥٤٥ كتاب الديات، باب الدية، كم هي. والترمذي (٣/ ٦٢) رقم ١٣٨٦ كتاب الديات، باب ما جاء في الدية كم هي من الإبل، والنسائي (٨/ ٤٣) رقم ٤٨٠٢ كتاب القسامة، ذكر أسنان دية الخطإ.

(٤٦) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٦٧) تفسير البغوي (٣/ ٦٩٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٣٣٨)

(٤٧) نظم الدرر (٦/ ٦١٤) الهداية الى بلوغ النهاية (١٠/ ٦٥٧٥ تفسير ابن عطية (٥/ ٣١)

(٤٨) تفسير الرازي (٢٧/ ٥٨٩) اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ١٨٠) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٦٠٨)

(٤٩) تفسير ابن كثير ١٠٩/٤ تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٥٥)

(٥٠) تفسير الطبري (١٥/ ٧٢) زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٣٤) تفسير البيضاوي (٤/ ٢١٦)

(٥١) تفسير ابن كثير ٥/ ١١ وتفسير البغوي ٣/ ٥٩١ وتفسير الطبري ١٧/ ٥٤٥

(٥٢) ينظر ورود مادة التقوى في القرآن بما مجموعه (٢٥٣) مرة:

وقانا ١ فوقاه ١ وقاهم ٣ تق ١ تقيكم ٢ قنا ٣ قهم ٢ قوا ١ يوق ٢ اتقى ٧ واتقو ٢٠ واتقين ١ وتتقوا ١١ وتتقون ٢٠ ويتقي ٦ ويتقه ١ وفليتقوا ١ ويتقون ١٧ ويتقي ١ واتق ٣ واتقوا ٧١ واتقون ٥ واتقوه ٤ واتقين ١ والتقي ٣ والتقوى ١٥ وتقواهم ١ والمتقون ٦ والمتقين ٤٤

وينظر مادة : خشع ١٧ والخشية ٥١ والخوف ٦٢ ويوم القيامة ٧٦ والساعة ٤٨ والحشر ٣٩ والبعث ٤١ والنشور ٦ وهذا بعد حذف الكلمة التي تساق لغير موضوعها.

(٥٣) أخرجه البخاري في الصلاة، باب فضل السجود (١/ ١٦٠) رقم ٨٠٦ ومسلم في الإيمان باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٣) رقم ١٨٢

The Ten Principles of Islamic Dawah/ Missionary Through the A Verse: (Now Then, For that (Reason), Call (them to the Faith) Modernist Approach to the Islamic Shariah Laws

Prof. Abu-Bakr Ali Al-Sedik

Professor of Quranic Studies and Interpretation, Ajman University, United Arab Emirates

Abstract

This research investigates the ten foundations on which the preaching to Islam is based. This is conducted by deducing it from the fifteenth verse of Surat Al-Shura, the most important of which is the necessity of communicating the preaching, the integrity of the preacher which should be on God's method, not following the passions, and the need to adhere to God's approach and faith in the Holy Books. The research also dealt with practical objectives of preaching for the necessity of establishing justice, religious society, promoting individual responsibility to work, establishing religious milieu based on argument and evidence, and linking them all to the Day of Judgement.